روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جداً!!

118

ألف عصر

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٤٧٠٠٢

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدَّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د . نبيل فاروق

١ - الزمـــــن ..

ردَّدت ممرات مبنى المخابرات العلمية المصرية وقع قدمى الدكتور (ناظم) ، رئيس مركز الأبحاث ، والرجل الثانى فى الإدارة ، وهو يعدو بانفعال واضح ، نحو المصعد الخاص ، الذى يقود إلى الطابق الثالث تحت الأرض ، حيث مكتب القائد الأعلى ، وتصبَّب العرق على وجهه فى غزارة ، وهو يهتف عبْر جهاز التحليل الصوتى فى المصعد :

ـ الدكتور (ناظم) .. أطلب الإذن بالهبوط .

انبعث خيط رفيع من الضوء الأحمر ، من ثقب صغير ، فى إطار المصعد ، وتحرَّك بسرعة فوق قزحية عينه اليسرى ، قبل أن يرتفع صوت آلى ، يقول :

ـ تم التحقُّق من الشخصية .. يسمح بالهبوط .

كان الدكتور (ناظم) يفرك كفيه فى عصبية ، وهو ينتظر فتح باب المصعد ، وقبل أن يكمل الباب

رحلته ، كان الرجل يدلف إلى المصعد فى توتر شديد ، وكل خلجة من خلجاته تحمل انفعالاً جارفًا ، يفرز ما تموج به أعماقه من حمم ملتهبة ، ومشاعر متضاربة مشتعلة ..

وانبعث ذلك الضوء البنفسجى الهادئ داخل المصعد ، وهو يبدأ رحلته ، إلى الطابق الثالث تحت الأرض ، والدكتور (ناظم) داخله ، شديد التوتّر ، وعقله ينطلق فى رحلة سريعة ، مع ذكريات قريبة ، أدَّت إلى كل ما حدث حتى الآن ..

إلى تلك اللحظة ، التى تم استدعاء (رمزى) فيها ، باعتباره قائد الفريق بالنيابة(*) ؛ ليعلنه القائد الأعلى والدكتور (ناظم) بشكوكهما فى عضو الفريق الجديد (طارق) ، بعد أن أسفرت الأبحاث عن أنه شخصية مجهولة ، انتحل هوية (طارق) هذا بعبقرية مدهشة ، بحيث أمكنه خداع شبكات الكمبيوتر والمعلومات ..

بل والحصول على عمل فى مؤسسة الرياسة ..

ثم فى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ..

(*) راجع قصة (العاصفة النووية) .. المغامرة رقم (١١٦) .

واجتمع الفريق ، ليدرس هذه القضية الجديدة ..

وبدأ الأمر بمحاولة لفحص منزل (طارق) ..

ولكنه انتهى بمواجهة مباشرة ..

وقتال عنيف ..

وتمَّ إلقاء القبض على (طارق) ؛ لاستجوابه بشأن بعض الأدلة ، التى أحاطت موقفه بغموض أكثر وأكثر ..

ثم توالت المفاجآت ..

والكوارث ..

فبخطأ غير مقصود ، ضغط (أكرم) زرًا أحمر ، فى منزل (طارق) ، فاشتعل الموقف كله دفعة واحدة ..

وفى الوقت الذى اعترف فيه (طارق) بأنه مقاتل من زمن آخر ، ألقت به تجربة فاشلة إلى زمنهم ، كان خطأ (أكرم) قد أشعل مقاتلة (طارق) ، التى بدأت العد التنازلى ، للانطلاق فى رحلة جديدة ، عَبْر نهر الزمن ..

ولكن برنامج المقاتلة كان يحوى خطوة أوَّلية ، لها الأولوية فوق أى أمر آخر ..

أن تحمى وجودها ..

وقائدها ..

وبأى ثمن ..

ومن هنا نشبت حرب طاحنـة ، بين قوات الجيش المصرية ، والحارس الآلى للمقاتلة ..

ثم جاء دور (نور) وفريقه ..

ومع تطوّر الأمور ، بلـغ (نـور) و (أكرم) تلك المقاتلة ، وأمكنهما دخولها ..

ووصل (طارق) فى اللحظة الأخيرة ، و ..

« الطابق الثالث تحت الأرض .. »

انطلق الصوت الآلى ، يقطع تواصل أفكار الدكتـور (ناظم) ، فاندفع خارج المصعد ، وعَـبَر بـاب حجـرة القائد الأعلى ، بعد تجاوز إجراءات الأمـن المعتـادة ، وهو يهتف بكل ما يملأ نفسه من انفعال :

ـ لقد انطلقت المقاتلة .

انتفض القائد الأعلى ، هاتفًا فى انزعاج :

ـ كيف ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) ، وهو يلوّح بذراعيه :

ـ تلك الكرة الذهبية اقتحمت إدارة البحث العلمى ،

وانـتزعت (طـارق) عنـوة ، وحملتـه إلـى المقاتلـة ، التى انطلقت على الفور .

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! لقد فقدنا الشاب إذن .

قال الدكتور (ناظم) فى انفعال :

ـ وأصبح كياننا كله معرّضًا للخطر ؛ فلو بلـغ ذلـك الشاب زمنه ، وأبلغهم بما علمه عن فناء حضارتـه ، قد ينجح قومه فى تفادى ما سبَّب اندثارهم ، فتستمر حضارتهم ، ولا يصبح لنا وجود ، فى مجرى الزمن .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يقول :

ـ رباه ! كيف يمكن تفادى أمر كهذا ؟!

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ هناك أمر واحد ، قد يحمل إلينا الأمل ، فى تفادى تلك الكارثة الزمنية ، على الرغم من أننا قد نعتـبره ، فى حد ذاته ، كارثة حالية .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى توتر ، وهو يسأل فى حذر :

ـ وما هو ؟!

التقط الدكتور (ناظم) نفسًا عميقًا ، وأجاب :

- لقد انطلقت المقاتلة ، وبداخلها (نور) و(أكرم) أيضًا .

وانتفض جسد القائد الأعلى فى عنف ، وعيناه تتسعان عن آخرهما ، وترتفعان إلى سقف الحجرة بحركة غريزية ، هاتفًا فى ارتياع :

- يا إلهى .. (نور) و (أكرم) !!

نطقها ، فى نفس اللحظة التى كانت فيها المقاتلة الزمنية تشقَ طريقها ، فى رحلة جديدة من رحلاتها العشوائية ، عبْر الفضاء ، و ..

وعبْر الزمن(★) ..

★ ★ ★

كانت الانطلاقة عنيفة بحق ، حتى إن (نور) و(أكرم) شعرا وكأنهما ينسحقان تحت ضغط هائل ، وهما يجلسان على مقعديهما ، داخل المقاتلة الزمنية ، التى تشق الغلاف الجوى للأرض ، فى سرعة مذهلة ، فى طريقها إلى الفضاء الخارجى ..

وبكل ألمه وحنقه وثورته ، صرخ (أكرم) :

(★) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (فارس الزمن) .. المغامرة رقم (١١٧) .

- اللعنة ! كيف أوقعنا أنفسنا فى هذا الفخ ؟!

هتف به (نور) ، وهو يخرج الكلمات من بين شفتيه فى صعوبة :

- لا فائدة من الصراخ يا (أكرم) .. لقد قضى الأمر .

صاح (طارق) فى توتر بالغ :

- خطأ أيها القائد .. إنه لم يبدأ بعد .

توقَّف كل شىء بغتة ، مع آخر كلمة من كلمات (طارق) ، وبدا وكأن سرعة المقاتلة قد انخفضت إلى الصفر ، دون سابق إنذار ، وعلى الرغم من هذا ، لم يشعر أحدهم بتلك الاندفاعة الارتدادية ، التى تحدث فى المعتاد ، مع التوقف المفاجئ لأية مركبة مسرعة ، بفعل القصور الذاتى ..

بل على العكس تمامًا ، لقد شملهم شعور عجيب بارتياح غامر ، جعل (أكرم) يقول مبهورًا :

- رباه ! ماذا حدث ؟!

أشار (طارق) بسبَّابته ، مجيبًا فى توتر :

- لقد بلغنا الفراغ .

نطقها وهو يتطلَّع إلى الفراغ الأبيض الهائل ، الذى

يحيط بهم من كل جانب ، وتنتشر فيه ثقوب سوداء متناثرة ، مختلفة الأحجام والأبعاد ، فمال (أكرم) يحدِّق فيه ، عَبْر الواجهة الزجاجية للمقاتلة ، وهو يغمغم :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ منطقة العدم يا (أكرم) .. المنطقة التى يهبط كل شىء فيها إلى درجة الصفر .. الصوت .. الضوء .. وحتى الزمن .

تمتم (طارق) :

ـ بالضبط .

نقل (أكرم) بصره بينهما فى توتر ، قبل أن يهتف :

ـ ولكن هذا مستحيل ! لقد عبرنا نهر الزمن ذات مرة ، وهو يختلف تمامًا عما أراه الآن .

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلا :

ـ هذا صحيح يا (أكرم) ، ولكن هذا الاختلاف يعنى أمرًا واحدًا ، وهو أنه لا توجد وسيلة واحدة لعبور الزمن ، بل توجد عدة وسائل مختلفة ، وكما توجد عدة وسائل لعبور المكان مثل السيارات ،

والسفن ، والطائرات ، توجد أيضًا عدة سبل لاجتياز حاجز الزمن .

ابتسم (طارق) فى عصبية ، وهو يقول :

ـ لو أردت الدقة ، ففى موقفنا هذا ، نقول : إنه توجد عدة سبل ، لعبور ثقوب الزمن .

ثم لوَّح بكفيه ، مستطردًا :

ـ والآن أخبرانى .. أى ثقب ترغبون فى عبوره بالضبط ؟!

هتف به (أكرم) فى حدة :

ـ ذلك الذى يمكن أن يعيدنا إلى زمننا .

أطلق (طارق) ضحكة شديدة العصبية ، قبل أن يقول :

ـ يا للعبقرية ! أتتصوَّر أن الأمر بهذه البساطة ؟! لو أنه كذلك ، لما كان كل هذا يا رجل .

وعاد يشير إلى الفراغ والثقوب أمامه ، مردفًا :

ـ هيا .. أرنا عبقريتك ، وأخبرنى .. أى ثقب من هذه نجتاز ، حتى نعود إلى زمنك ؟!

أجابه (أكرم) فى غضب :

ـ الثقب الذى أتينا منه أيها المتحذلق .

هتف (طارق) :

- وأين هو ؟! راقب ذلك الفراغ المحيط بنا ، وستدرك أن كل شىء من حولنا يدور .. أو أننا نحن ندور فى اتجاه ما .. لا شىء يبقى فى موضعه .. لا إحداثيات ، أو اتجاهات ، أو نجوم يمكن الاسترشاد بها .. إنك لا تدرك حتى من أين أتينا ، ولا أين سنذهب .

وانعقد حاجباه فى شراسة ، وهو يضيف :

- باختصار .. لا توجد وسيلة واحدة ، للعودة إلى زمن ما بالتحديد .. لا توجد أية وسيلة على الإطلاق .

« خطأ .. »

نطق (نور) الكلمة فى صرامة شديدة ، جعلتهما يلتفتان إليه فى دهشة ، فأكمل بنفس الصرامة ، التى تطلّ واضحة من عينيه :

- هناك حتمًا وسيلة للعودة إلى زمننا ، ولكننا لم نتوصّل إليها بعد .

انعقد حاجبا (طارق) ، وهو يغمغم :

- ليس حسب علمى .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يلتفت إليه ، هاتفًا بحدة :

- اصمت .

ثم استطرد فى عصبية :

- فى مثل هذه الظروف ، أفضّل أسلوب (نور) فى التفكير .

صفّق (طارق) بكفيه فى بطء ، قبل أن يقول فى سخرية عصبية :

- عظيم .. السيّد (أكرم) ، الذى وضعتنا حماقته فى هذا الموقف العصيب ، يفضّل الأسلوب الحالم فى التفكير ، عندما تتعقّد الأمور .. دعونى أحيّى هذا بكل حماس .

أمسك (أكرم) ياقته ، هاتفًا :

- أيها الـ ..

وارتفعت قبضة (طارق) فى سرعة ، و ..

« كفى .. »

أطلق (نور) صيحته الصارمة ، فتوقّف الاثنان دفعة واحدة ، ليستطرد فى حدة :

- ما بالكما تتصرفان كمراهقين لم ينضجا بعد ؟!

لم يعد يهم الآن كيف بلغت الأمور هذا الحد .. المهم أننا هنا .. نواجه موقفًا رهيبًا ، وعلينا أن نفكر جيدًا ؛ حتى نجد وسيلة للخروج منه .

صمت الاثنـان بضع لحظـات ، وهمـا يتطلّعان إلى بعضهما ، ثم لم يلبث (طـارق) أن أرخـى قبضتـه ، وهو يقول :

- الوسيلة الوحيدة هى أن نمضى فى رحلتنا ، عَبْر العصور .

ترك (أكرم) ياقته ، وهو يتساءل فى توتر :

- ومـاذا لـو بقينـا هنـا ؟! ربمـا حـاول الرفـاق فى زمننا ، إيجاد وسيلة لإعادتنا إليه .

تنهَّد (طارق) ، وهزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لا شىء يمكن أن يبقى طويلاً فـى الفـراغ .. إنـه ليس الوسط المناسب لوجود البشر ، أو حتى الجماد ، ولو بقينا داخله طويلاً ، ستتحلَّل ذراتنا تدريجيًّا ، ولن نلبث أن نتشتَّت ونضيع فى الفراغ إلى الأبد .

هزّ (أكرم) رأسه فى قوة وحدّة ، هاتفًا :

- عظيم .. هذا يعنى أن أمرنـا قد انتهـى .. أليس كذلك ؟!

رفع (طارق) سبَّابته أمام وجهه ، مجيبًا :

- ليس إذا واصلنا رحلتنا .

ثم أشار بيده أمامه ، مستطردًا :

- هيا .. فليقع اختياركما على الثقب المناسب .

نطقهـا ، فران على المكـان صمت رهيب ، وكـل منهم يتطلَّع إلى الفـراغ اللانهـائى ، المحيط بالمقاتلـة من كل صوب ، وإلى الثقوب السوداء العديدة ، ثم لـم يلبث (نور) أن قطع ذلك الصمت ، قائلاً فى حزم :

- أقصر الطرق مـن نقطـة إلـى أخـرى ، هـو الخـط المستقيم .

ارتسمت علـى شـفتى (طـارق) ابتسـامة باهتـة ، وهو يعتدل فى مقعد القيادة ، ويمسك أداة التوجيه فى حزم ، قائلاً :

- فهمت .

وضغط زر الانطـلاق ، فـاندفعت المقاتلـة بسـرعتها المدهشة ، نحو الثقب الأسود ، المواجه لها تمامًا ، و .. واخترقته ..

ومع الاختراق ، انتفض جسدا (نور) و (أكرم) فى عنف ، وهتف الأخير مبهورًا مبهوتًا :

- رباه !

فمـن حولهـم ، تداخلت مئـات الألـوان والأضـواء ، وراحت شموس تشرق وتغرب ، وسحب تنتشر وتنقشع ..

ثم فجأة ، اختفى كل هذا التداخل ، وسطع ضوء الشمس الطبيعى ، على مشهد ريفى ، يمتدَ إلى مسافة واسعة ..

وانخفضت سرعة المقاتلة ، وهى تنطلق فى سماء ذلك الزمن الجديد ..

ثم هتف (أكرم) فجأة :

ـ احترس .

انتبه (طارق) ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى أنه يكاد يرتطم بطائرة حربية قديمة ، فارتفع بالمقاتلة فى سرعة ، على نحو أذهل قائد الطائرة القديمة ، وأربكه ، فمالت طائرته على نحو حاد ، وهوت فى اتجاه الأرض ، ولكن الرجل لم يلبث أن استعاد سيطرته عليها ، ودار بها دورة كاملة فى الهواء ، وكأنه يحاول رصد تلك المقاتلة ، التى كادت تسقطه ، فى حين هتف (أكرم) داخلها فى انفعال .

ـ رباه ! هل رأيتما طراز هذه الطائرة ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ نعم .. (ميسر شميت ـ ب ف ـ ١٠٩ ف) .. إنها مقاتلة ألمانية ، ذات مقعد واحد .

التقى حاجبا (طارق) فى شدة ، وهو يهبط بالمقاتلة الزمنية فى منطقة منعزلة ، وسط الريف الممتدَ إلى مدى البصر ، فى حين هتف (أكرم) :

ـ ألمانية ؟! هذا يعنى أننا قد عدنا إلى زمن ماض .

لم يعلِّق أحدهما على عبارته ، حتى هبطت المقاتلة وسط الريف ، فغادرها ثلاثتهم ، وضغط (طارق) زر جهاز صغير فى يده ، وهو يقول :

ـ حاولا أن تستمتعا بهذا الزمن ، فنحن مضطرون لقضاء ثلاثة أيام كاملة فيه ، حتى تصبح المقاتلة قادرة على الانطلاق فى رحلة زمنية أخرى .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ ما لم ينكشف أمرها قبل هذا .

ارتسمت ابتسامة ساخرة عصبية ، على ركن شفتى (طارق) ، وهو يقول :

ـ اطمئن .

لم تكد كلمته تنتهى ، حتى تألَّقت المقاتلة على نحو عجيب ، ثم تلاشت دفعة واحدة ، فاتسعت عينا (أكرم) فى ذهول ، وهو يهتف :

ـ أين ذهبت ؟! هل اختفت ؟!

هزَّ (طارق) رأسه نفيًا ، وأجاب :

- الاختفاء العادى يحجبها عن الرؤية ، ولكنها تظلَّ ملموسة ، وتحتل مكانًا من الفراغ يسهل كشفه ، أما هذه التقنية ، التى لم تبلغها علومكم بعد ، فهى تخفيها من الناحية المرئية والمادية أيضًا .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتطلَّع إليه فى صمت ، فى حين سأله (أكرم) فى دهشة بالغة :

- وكيف هذا ؟!

صمت (طارق) بضع لحظات ، ثم قال فى حزم :

- لن يمكنك استيعاب هذا .

سأله (نور) فى اهتمام حذر :

- أهى عملية انتقال بين الأبعاد ؟!

هزَّ (طارق) رأسه فى قوة ، مجيبًا :

- مطلقًا .

لم يحاول أن يضيف المزيد ..

ولم يحاول (نور) أن يسأله المزيد ..

حتى (أكرم) ، لاذ بالصمت التام ، وهم يسيرون فى حذر وسط الحقول ، ويحاولون دراسة المنطقة المحيطة بهم ، حتى غمغم (طارق) :

- إنها (فرنسا) على الأرجح .

ألقى (نور) نظرة على منزل ريفى ، يبدو من بعيد ، وقال :

- نعم .. فى النصف الأوَّل من القرن العشرين .

نقل (أكرم) بصره بينهما ، قبل أن يقول فى عصبية :

- عجبًا ! لماذا أشعر وكأننى الجاهل الوحيد هنا ؟!

لم يعلِّق أحدهما على عبارته ، وإنما بدا وكأن شيئًا ما يشدَ انتباههما فى الأفق ، فقد أشار (نور) إلى نقطة بعيدة ، قائلاً :

- هل ترى هذا ؟ هناك .. خلف تلك التبة !

أخرج (طارق) من جيبه منظارًا مقرَّبًا صغيرًا ، وهو يقول :

- هناك وسيلة للرؤية ، بشكل أفضل .

وضع المنظار على عينيه ، وراح يتطلَّع إلى ذلك المشهد البعيد بضع لحظات ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، ويناول (نور) المنظار ، قائلاً :

- أعتقد أنه من الأفضل أن ترى بنفسك .

التقط (نور) المنظار ، ووضعه على عينيه ، فانعقد حاجباه على نحو أكثر شدة ، وهتف بصوت حمل انفعالاً جارفًا :

- يا إلهى !

اقترب منه (أكرم) فى فضول متوتر ، وسمعه يتابع :

ـ من بين كل عصور التاريخ ، كنت أدعو اللّه (سبحانه وتعالى) ، ألا نكون قد هبطنا فى هذا العصر بالذات .

هتف (أكرم) :

ـ ماذا حدث ؟! أين هبطنا بالضبط ؟! دعنى أر يا (نور) !

اختطف المنظار فى توتر ، ووضعه على عينيه بدوره ، وراح يتحرك به ، قائلاً :

ـ لست أرى سوى حقول عديدة ، وعدة مبان قديمة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانطلقت من حلقه شهقة قوية ، عندما توقف بصره عند علم يرفرف فوق تلك المبانى القديمة ..

علم أحمر قان ، تتوسطه دائرة بيضاء ، بداخلها صليب أسود معقوف ..

علم (ألمانيا) ..

النازية .

* * *

٢ ـ عصر الدم ..

« مستحيل ! مستحيل أن يكون (نور) و (أكرم) قد انتهيا على هذا النحو .. »

صرخت (سلوى) بالعبارة فى انهيار ، ودموعها تنهمر على وجهها كالسيل ، وشاركتها (نشوى) و (مشيرة) بكاءها ، والأخيرة تهتف :

ـ لماذا يا إلهى ! لماذا ؟!

أمسك (رمزى) كتفى (سلوى) فى قوة ، صائحًا :

ـ لا تنهارى أو تفقدى الأمل قط يا (سلوى) .. إياك أن تفعلى .

صاحت به (نشوى) :

ـ من السهل أن تقول هذا ؛ لأن (نور) ليس والدك أنت .

التفت إليها ، قائلاً فى صرامة :

ـ هذا صحيح .. إنه ليس والدى ، ولكنه قائدى وصديقى ، ولقد عملنا معًا ما يكفى من الوقت ،

لأشعر نحوه بمشاعر قوية ، لا تقلّ أبدًا عما تشعرين به تجاهه .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ ولكننى أدرك أن البكاء ليس الوسيلة المناسبة لاسترجاعه ، أو استرجاع (أكرم) و (طارق) .

صاحت (سلوى) منهارة :

ـ وماذا بيدنا لنفعله ؟! أنت تدرك مثلنا أن (طارق) ، بكل علومه المتقدّمة ، لم يجد وسيلة للعودة إلى عالمه .

أجابها فى صرامة :

ـ من يدرى ؟! ربما نجد نحن هذه الوسيلة .

هتفت فى انهيار :

ـ كيف يا (رمزى) ؟! كيف ؟!

أجاب فى سرعة وحزم :

ـ لست أدرى كيف ، فأنا طبيب نفسى ، ولست عالم اتصالات مثلك ، أو خبير كمبيوتر مثل (نشوى) ، ولكن سنوات العمل مع (نور) علمتنى أمرًا واحدًا .. ألا أيئس أبدًا ، مهما كانت الأسباب .

صاحت (مشيرة) فى حدة :

ـ حكمة عظيمة يا (رمزى) ، ولكنها لن تعيد (نور) و (أكرم) .

قال فى سرعة :

ـ والبكاء والنحيب أيضًا لن يعيداهما .

ثم أشار إلى أجهزة (سلوى) ، الملقاة فى ركن الحجرة ، مستطردًا :

ـ طبقًا لروايتك يا (سلوى) ، فقد نقل إليك (نور) لاسلكيًّا ، كل سجلات وملفات كمبيوتر المقاتلة ، وهذا يعنى أنه باستطاعتك تحليل كل خطوة ، قامت بها فى رحلتها ، ويمكننا الاستعانة بعلماء فضاء ، أو قادة طيران ، أو حتى بالقوات الفضائية نفسها ، لو اقتضى الأمر ، لنعرف كيف سارت رحلة المقاتلة عبر الزمن ، ومن المحتمل أن يقودنا هذا إلى وسيلة ، لإعادة (نور) و (أكرم) .. و (طارق) أيضًا إلى عالمنا .

توقّفت (سلوى) عن البكاء ، وأدارت عينيها إلى (نشوى) بنظرة طويلة ، اتفقت خلالها أفكارهما على نقطة واحدة ، فى حين هتفت (مشيرة) فى مرارة :

ـ تفاؤل مدهش يا خبير الطب النفسى ، ولكن أحدًا لا يمكنه إعادة الموتى إلى الحياة .

التفت إليها فى حركة حادة ، هاتفًا فى غضب :

- إنهم ليسوا موتى يا (مشيرة) .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وعيناه تشردان ، وهو يتابع فى حزم :

- إنهم هناك .. فى مكان ما .. عبْر الزمن .

وتوقفت دموع (مشيرة) بدورها ..

والتقت عيون الجميع بنظرة واحدة ..

وفكرة واحدة ..

* * *

انعقد حاجبا الكلونيل (شتوتجارت) ، قائد القاعدة الجوية الألمانية فى (باريس) ، وهو يتطلع إلى أحد طياريه ، قائلاً فى صرامة غاضبة :

- هل جننت يا رجل ؟! أية قصة حمقاء تلك التى ترويها ؟! العالم كله يعلم أن المقاتلات الألمانية هى الأكثر قوة ، بين كل الدول المتحاربة على الجانبين ، ولدينا هنا كل المعلومات ، عن آخر ما وصل إليه الحلفاء من تطورات ، وهم لم يتوصلوا حتمًا إلى مقاتلة ، يمكن أن تنطلق ، بالسرعة الخرافية التى تصفها .

أجابه الطيّار فى إصرار :

- ولكننى واجهت تلك المقاتلة بالفعل يا سيّدى الكولونيل .

لوّح الكولونيل بذراعه كلها ، هاتفًا فى حدة :

- مستحيل يا رجل ! مستحيل !

ولكن الطيّار تابع ، وكأنه لم يسمعه :

- إنها لم تكن تحمل أى شعار ، يمكن أن يشير إلى منشئها ، ولكننى رأيتها فى وضوح .. بل وكدت أرتطم بها أيضًا ، وهذا أمر لا يمكن تخيّله أو افتعاله ، بأى حال من الأحوال .

احتقن وجه الكولونيل ، وهو يدق سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً :

- فليكن أيها الطيّار .. سأمضى معك إلى نهاية الطريق .. تعال نفترض ، مجرّد افتراض ، أن الحلفاء قد أمكنهم صنع مقاتلة كهذه بالفعل ، وسيفرض السؤال التالى نفسه على الفور .

ومال ناحيته ، مستطردًا فى صرامة حادة :

- لماذا لم يحاولوا شن هجوم علينا ، بسرب من تلك المقاتلات المذهلة ، على الرغم من أن هذا يضمن لهم النصر ، دون أدنى شك ؟!

صمت الطيَّار بضع لحظات فى حيرة ، وكأنما أربكه السؤال ، ثم لم يلبث أن استعاد إصراره ، وهو يجيب فى حزم :

ـ ربما كانت هذه مجرَّد تجربة ، أو اختبار طيران ومواجهة ، قبل الهجوم الفعلى ؟!

ارتدَّ السهم إلى الكولونيل (شتوتجارت) ، الذى انتفض جسده ، واتسعت عيناه ، وهو يتراجع فى مقعده ، وقد بدا له الجواب منطقيًّا ، إلى حد مخيف ، جعله يغمغم :

ـ وما الذى يمكن فعله ، فى موقف كهذا ؟!

جاء دور الطيَّار ، ليميل نحوه ، ويستند براحتيه إلى سطح مكتبه ، قائلاً :

ـ ما تقتضيه الأوامر يا سيِّدى الكولونيل .. أن نجمع كل المعلومات الممكنة عن الأمر ، ونمشّط المنطقة كلها ، بحثًا عن أى جواسيس ، من المحتمل أن تكون تلك المقاتلة الخرافية قد أسقطتهم ، ثم ..

نطقها ، وتراجع ليقف معتدلاً ، ويشدَّ قامته فى قوة ، فرفع الكولونيل عينيه إليه ، وسأله فى توتر ملحوظ :

ـ ثم ماذا ؟!

تطلَّع الطيَّار إلى عينيه مباشرة ، وأجاب فى حزم :

ـ نبلغ الجهات المختصَّة يا كولونيل .. (الجستابو)(*) ، وجهاز المخابرات النازى .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها الطيَّار عبارته ، كان (نور) يقول لرفيقيه فى توتر :

ـ الواقع أن هذا العصر هو أحد أبشع العصور ، التى شهدها التاريخ ، ويدهشنى كثيرًا أن تحملنا إليه آلات الزمن مرتين .

التفت إليه (طارق) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ هل أتيتم إلى هذا العصر من قبل ؟!

أجابه (نور) ، وهو يومئ برأسه :

ـ نعم .. لقد أتينا هنا ذات مرة ، فى مهمة عجيبة ، سأرويها لكما يومًا .. ولقد كان هذا قبل انضمام (أكرم) إلينا بسنوات طوال(**) .

(*) الجستابو : هو جهاز الشرطة الخاص للحزب النازى ، فى عهد الرايخ الثالث ، ولقد اشتهر هذا الجهاز بالقسوة والصرامة الشديدتين ، وبوسائله العنيفة الوحشية ، لانتزاع المعلومات واستجواب المتهمين ، فى عهد قائده (هملر) .

(**) راجع الأجزاء الثلاثة : (عبر العصور) .. (أسرى الزمن) .. (شيطان الأجيال) .. المغامرات أرقام (٥٤) ، و(٥٥) ، و(٥٦) .

سأله (طارق) فى اهتمام :

ـ أيعنى هذا أنك تستطيع تحدُث الألمانية ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ والفرنسية أيضًا ، فعندما انطلقنا فى تلك المهمة ، تم زرع كل اللغات المطلوبة فى عقولنا .

تنهَّد (طارق) ، قائلاً :

ـ أنا أيضًا أجيد الألمانية والفرنسية ، ضمن بعض اللغات ، التى تم زرعها فى عقلى أيضًا .

هتف (أكرم) فى عصبية :

ـ عظيم .. عظيم .. هذا يجعلنى الوحيد ، الذى لا يجيد سوى العربية هنا .

التفت إليه (طارق) فى هدوء ، وقال :

ـ هذه ليست مشكلة .

قال (أكرم) فى سخرية منفعلة :

ـ كيف أيها العبقرى ؟! هل ستزرع اللغات فى عقلى أيضًا .

أخرج (طارق) من جيبه قرصًا صغيرًا ، أشبه بعملة معدنية عادية ، وهو يقول بابتسامة باهتة :

ـ ولِمَ لا ؟!

تطلَّع (نور) إلى ذلك القرص فى اهتمام ، فى حين تراجع (أكرم) بحركة آلية ، وهو يقول فى حدة :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أداره (طارق) فى هدوء ، وألصق القرص بمؤخرة عنقه ، وهو يقول :

ـ جهاز زرع اللغات .

توتَّر (أكرم) بشدة ، وحاول أن يدير رأسه إليه ، وهو يقول :

ـ اسمع يا (طارق) .. إننى ..

أمسك (طارق) رأسه من الخلف فى قوة ، وهو يقول :

ـ لا تتحرَّك .

ومع قوله ، شعر (أكرم) بإبرة رفيعة تنغرس فى مؤخرة عنقه ، فهتف :

ـ اللعنة ! إنها تؤلم .

صاح به (طارق) مرة أخرى :

ـ إياك أن تتحرَّك .. لقد بدأ الجهاز عمله .

راقب (نور) الموقف ، فى اهتمام شديد ، فى حين قال (أكرم) فى عصبية :



أمسك (طارق) رأسه من الخلف فى قوة ، وهو يقول :
ـ لا تتحرّك . . .

ـ حذار يا (طارق) ، لو أن هذا الـ ..

قاطعه (طارق) فى صرامة :

ـ اصمت .

ثم مال نحو الجهاز ، المزروع فى مؤخرة عنق (أكرم) ، وهمس :

ـ الألمانية والفرنسية .. منتصف القرن العشرين .

لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى شعر (أكرم) وكأن تيارًا كهربيًا محدودًا قد انطلق ، من موضع القرص ، ليسرى فى رأسه كله ، فانتفض جسده فى عنف ، وصرخ :

ـ اللعنة !

انتزع (طارق) القرص ، من مؤخرة عنقه ، فى هدوء ، وهو يسأله فى خبث :

ـ هل آلمك .

هتف فى حنق :

ـ بالتأكيد .. إنه ..

ثم بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يقول فى انفعال :

ـ رباه ! لقد فهمت كلمتك ، على الرغم .. على الرغم من أنك قد نطقتها بالفرنسية .

ابتسم (طارق) ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

ـ ليس هذا فحسب يا صديقى ، ولكنك أجبت بالفرنسية أيضًا .

اتسعت عينا (أكرم) أكثر ، وهتف فى حماس :

ـ يا إلهى ! هذا صحيح .. إننى أفهم الفرنسية ، وأتحدثها أيضًا .. يا للروعة !

قالها ، وأطلق ضحكة عالية مجلجلة ، و ..

وفجأة ، عبرت تلك الطائرة الألمانية فوق رءوسهم ..

كانت منخفضة بشدة ، حتى إن ثلاثتهم خفضوا رءوسهم بحركة غريزية ، وهتف (نور) :

ـ لقد رأونا .

أدار (طارق) رأسه بحركة حادة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ إنهم يحاصرون المكان .

رأى (نور) و (أكرم) فريق الجنود ، الذى يشير إليه (طارق) ، والذى يقترب من موقعهم ، على نحو سريع منظم ، فعضّ (أكرم) شفتيه ، وقال فى حنق :

ـ كان ينبغى أن أحضر معى مسدسى .

انطلق (طارق) يعدو ، هاتفًا :

ـ سنناقش هذا الأمر ، عندما نخرج من الموقف سالمين .

انخفضت الطائرة الألمانية مرة أخرى ، لتعبر فوق رءوسهم ، ومن داخلها قال الطيّار ، عبْر جهازه اللاسلكى :

ـ هناك ثلاثة رجال بالفعل فى المنطقة .. إنهم يعدون هاربين ، فى اتجاه الشمال الشرقى .

أتاه صوت الكولونيل (شتوتجارت) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ حاول منعهم من تجاوز المنطقة ، حتى يطبق عليهم رجالنا من كل جانب .

سأله الطيّار ، وهو يدور بالطائرة مرة أخرى ، ليتجه نحوهم :

ـ هل نطلق النار ؟!

جاوبه الصمت لبعض الوقت ، قبل أن يأتيه صوت قائده الصارم ، قائلاً :

ـ موتهم أفضل من فرارهم .

تنهّد الطيّار ، قائلاً :

ـ فهمت يا كولونيل .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (نور) و(أكرم) و(طارق) يعدون وسط الحقول ، و(أكرم) يهتف :

ـ أين كرتك الذهبية ؟! لماذا لا تنطلق للدفاع عنك الآن ؟!

أجابه (طارق) ، وهو يلهث :

ـ الحارس الآلى جزء من المقاتلة ، ولن يمكنه بدء عمله ، قبل ثلاثة أيام ، عندما يعيد شحن طاقته بالكامل .

مطّ (أكرم) شفتيه ، هاتفًا فى حنق :

ـ لست أظن هؤلاء الأوغاد ينتظرون ثلاثةَ أيام كاملة .

مع آخر حروف كلماته ، انهالت حولهم رصاصات الطائرة ، فصاح (أكرم) :

ـ ألم أقل لكما ؟!

هتف به (نور) :

ـ إنه لا يسعى لقتلنا .. إنه يحاول إيقافنا فحسب .

هتف (طارق) :

ـ ومن أدراك ؟!

أجابه (نور) فى سرعة ، وهو يواصل العدو :

ـ لقد تعمَّد عدم إصابتنا .. رصاصاته كانت بعيدة أكثر مما ينبغى .

صاح (أكرم) :

ـ ولكننا لن نستطيع مواصلة العدو هكذا إلى الأبد .

أشار (نور) إلى مجموعة من الأشجار القريبة ، قائلاً :

ـ هذا سيساعدنا على الاختباء أكثر .

استدار رفيقاه إلى مجموعة الأشجار على الفور ، و (طارق) يهتف :

ـ هذا صحيح .

انخفض الطيّار نحوهم مرة أخرى ، وهو يبلغ القيادة لاسلكيًا :

ـ الجواسيس الثلاثة يتجهون نحو الأشجار .

أتاه جواب مقتضب للغاية ، من الكولونيل (شتوتجارت) :

ـ عظيم .

اندفع (نور) و(أكرم) و(طارق) وسط الأشجار ، والأوّل يقول فى حزم :

- دعونا نتفرّق هنا ، فهذا يرهقهم أكثر ، ثم إنه قد يمنح أحدنا فرصة للنجاة ، حتى يمكنه العودة إلى المقاتلة فيما بعد ، وتشغيل الحارس الآلى ، و ...

قاطعه (طارق) فى صرامة :

- المقاتلة لن تطيع أحدًا سواى .

زفر (أكرم) فى عصبية ، قائلاً :

- أخشى أن هذا يعنى أنه من المحتم أن نظلّ معًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أمسك (طارق) معصمه فى قوة ، قائلاً :

- مهلاً .

التفت إليه (أكرم) و(نور) فى آن واحد ، فوضع سبّابته على شفتيه ، مشيرًا إليهما بالصمت ، وهو يهمس :

- بعضهم هنا .

قبل حتى أن يتمّ عبارته ، كان الاثنان قد لمحا بالفعل أشباحًا تتحرّك فى حذر بين الأشجار ، فغمغم (أكرم) :

- اللعنة ! لقد حاصرنا هؤلاء الأوغاد بالفعل .

قال (نور) فى توتر :

- ربما لو تراجعنا إلى الـ ..

لم يحاول إتمام عبارته ، وهو يتطلّع فى يأس إلى المدرعات الثلاث ، التى راحت تشقّ الحقول ، وسط فريق مسلّح من الجنود ..

لقد حاصرتهم القوات النازية بالفعل ..

ولم يعد هناك مهرب واحد ..

وفى حزم ، قال (طارق) :

- هل تريدان رأيى ؟!

أجابه (نور) بسرعة :

- بالتأكيد .

التقط (طارق) نفسًا عميقًا ، وشدّ قامته ، وهو يقول فى حزم :

- الواقع أننى أرى أن أفضل ما يمكننا فعله ، فى مثل هذه الظروف ، هو أن ... نستسلم .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم فى دهشة :

- نستسلم ؟!

أما (أكرم) ، فقد هتف مستنكرًا :

- أى قول هذا يا (طارق) ؟! هل جننت ، أم أن هذه أسخف مزحة سمعتها ، فى حياتى كلها ؟!

أشار (طارق) بسبَّابته ، قائلاً :
- بل هى أحكم خطوة ، يمكن القيام بها الآن ، فنحن فى وضح النهار ، والألمان يحيطون بنا من كل جانب ، وبأعداد كبيرة ، لن تمنحنا فرصة واحدة للفرار ، والمقاومة قد تدفعهم إلى قتلنا بلا رحمة .
مال (نور) نحوه ، يسأله :
- هل تعلم ما الذى يمكن أن يفعلوه بنا ، لو وقعنا فى أيديهم ؟!
أومأ (طارق) برأسه فى حزم ، قائلاً :
- بالتأكيد ، ولكن الأمر سيصبح أكثر عنفًا وشراسة ، لو أننا وقعنا فى أيديهم ، بعد قتال ومقاومة .. على الأقل ، عندما نستسلم بإرادتنا ، يمكننا أن نقنعهم أننا مجرد ثلاثة فرنسيين مذعورين فحسب .
قال (أكرم) فى حدة :
- بعد أن رأوا تلك المقاتلة ؟!
هزَّ (طارق) رأسه فى قوة ، قائلاً :
- إنهم لن يعثروا عليها أبدًا ، ولن يتمكن أحدهم قط من الجزم بأنها حقيقة .. بل ستبدو رواياتهم أقرب إلى الهذيان ، وهذا سيفيد موقفنا كثيرًا .

صمت (نور) و (أكرم) بضع لحظات ، تبادلا خلالها نظرة سريعة ، قبل أن يقول (نور) فى حسم :
- من الواضح أنك لا تفهم هؤلاء القوم جيدًا يا (طارق) .. إنهم لا يضيعون وقتهم فى البحث عن أسباب ومبررات البراءة ، بل يفترضون أنك مذنب وجاسوس ، حتى يثبت العكس ، ولأن إثبات هذا العكس ليس بالأمر اليسير ، ولأنهم لا يقيمون وزنا على الإطلاق لحياة أى مخلوق ، من خارج جنسهم الألمانى ، فإنهم يفضلون حسم هذا الشك بأسرع وأبسط ، وأضمن وسيلة ممكنة .
ثم مال نحوه ، وفرد سبَّابته ، ورفع إبهامه ، وضم الأصابع الثلاثة الأخرى ، على نحو يشبه المسدس ، وصوَّب السبَّابة إلى رأسه ، مستطردًا فى صرامة :
- رصاصة فى الرأس .
تطلَّع إليه (طارق) فى صمت ، فى حين هتف (أكرم) فى انفعال :
- ما دام لا مفرَّ من الموت ، فأنا أفضِّل أن أموت مقاتلاً .
لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى قال (طارق) فى حزم :

- وأنا أيضًا .

تطلّع إليه الاثنان فى دهشة ، فأضاف فى سرعة :

- (نور) تعامل معهم من قبل ، وهو أعلم بهم بالتأكيد .

ثم ابتسم فى هدوء ، مستطردًا :

- كما أن ثلاثتنا لن نقف مكتوفى الأيدى بالتأكيد .

قال (أكرم) فى توتر :

- هذا صحيح ، ولكننا سنبدأ القتال بالأيدى العارية ، و ...

قاطعه (طارق) فى حزم :

- خطأ .

ثم دسّ يده فى جيبه ، وأخرجها ليفردها أمامهم ، وهى تحوى خمس كرات صغيرة ، لكل منها لون مختلف ، وهو يضيف :

- إننا نملك بعض الأسلحة ، التى تكفى للمواجهة .

تطلّع إليه (أكرم) فى دهشة ، وقال :

- ولكن مقاتلتك كانت تمنع الاقتراب منها ، مع الـ ..

قاطعه مرة أخرى ، بابتسامة خبيثة :

- إننى قائدها ، وهذا يعنى أننى مستثنى من هذا الإجراء .

قال (نور) فى ضيق صارم :

- وما كل هذا الحديث حول الاستسلام إذن ؟!

هزّ (طارق) كتفيه ، قائلاً :

- يمكنك أن تعتبره مجرّد اختبار لرد الفعل .

بدا الغضب على وجه (أكرم) ، وهمّ بقول شىء ما ، ولكن (نور) استوقفه بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول فى حزم :

- فى هذه الحالة ، أظننا نستطيع مواجهة هؤلاء الجنود بهجوم غير متوقّع على الإطلاق .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف ، على نحو أدهش رفيقيه بشدة :

- هجوم جوى .

★ ★ ★

عقد الكولونيل (شتوتجارت) كفيه خلف ظهره ، وهو يقف على سطح مبنى القيادة ، متطلّعًا إلى الحقول الممتدّة أمامه ، والتى تنتهى من بعيد بمنطقة الأشجار الكثيفة ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ،

وتضاعفت تلك الصرامة المحفورة فى ملامحه ألف مرة ، فى حين راح أحد رجاله ينقل إليه اتصالات فريق المطاردة ، قائلاً :

ـ الحصار تام الآن يا كولونيل .. رجالنا يلتفون حول منطقة الأشجار تمامًا ، ويتوغلون داخلها فى نطاق دائرى ، طبقًا لأوامرك .

هزَّ الكولونيل رأسه ، وسأل فى صرامة :

ـ وماذا عن الباقين ؟!

أجابه الضابط فى سرعة :

ـ هناك أربع مدرعات تحيط بالمكان ، وما زالت طائرتنا تحوم حوله طوال الوقت ، وترصد أية تحركات داخله .

مطَّ الكولونيل شفتيه ، وقال :

ـ الأشجار هناك كثيفة ، والطائرة لن يمكنها رصد شىء .

سأله الضابط فى اهتمام :

ـ هل نأمرها بالعودة يا سيِّدى الكولونيل ؟

صمت الكولونيل بضع لحظات ، فى تفكير عميق ، ثم أجاب فى صرامة :

ـ ليس بعد .

صمت الضابط بدوره بعض الوقت ، ثم قال فى حذر :

ـ معذرة يا كولونيل ، ولكن ألسنا نبالغ بعض الشىء ، فى التعامل مع ثلاثة من المشتبه فيهم فحسب ؟!

صاح به الكولونيل (شتوتجارت) فى صرامة غاضبة :

ـ لا شأن لك بهذا .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف :

ـ إن لدى أسبابى .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان الجنود النازيون يضيقون الحصار أكثر وأكثر ، وضابطهم يشير بيده ، قائلاً :

ـ تقاربوا أكثر ، ولا تطلقوا النار إلا للضرورة القصوى .. نريدهم أحياء بقدر الإمكان .. لابد أن نعلم إلى أية جهة ينتمون .

ثم التفت إلى ضابط الاتصال ، مستطردًا :

ـ مر المدرعات باقتحام الغابة ، من الجهات الأربع .. لن نمنحهم أدنى فرصة للفرار .

بدأت المدرعات تحركها بين الأشجار ، فى حين أخذ الجنود يضيقون الحصار أكثر وأكثر ، وراحت الطائرة تحوم حول المكان ، وقائدها يبلغ ملاحظاته إلى القيادة ، عبْر جهاز الاتصال اللاسلكى ، قائلاً :

- الأشجار العالية تحجب الرؤية إلى حد كبير .. سأحاول الانخفاض حتى قمم الأشجار .. ربما أمكننى رؤية شىء ما .

كانت الحيرة تسيطر على الجنود ، فى تلك اللحظة ، بعد أن ضاقت دائرة الحصار ، إلى أدنى حد ممكن ، حتى إن كل جانب أصبح يرى الجانب الآخر فى وضوح ، دون أن يظهر أثر للجواسيس الثلاثة ، فتوقف الضابط ، وتلفت حوله فى حذر ، قبل أن يقول فى صرامة :

- انتشروا مرة أخرى فى المنطقة .. لا ريب فى أننا قد تجاوزناهم ، دون أن ندرى .. أطلقوا النار هذه المرة دون إنذار .

اقترب الطيار فى تلك اللحظة من قمم الأشجار ، وهو يواصل إبلاغ ملاحظاته ، قائلاً :

- كل شىء يبدو هادئاً ، ولست أسمع طلقات

رصاصات ، مما يعنى أن رجالنا لم يتمكنوا بعد من الـ ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق فى نقطة ما بين الأشجار ، برز منها (أكرم) فجأة ، وألقاه بواحدة من الكرات الخمس ، هاتفاً :

- إلى الجحيم أيها الوغد .

انعقد حاجبا الطيار بشدة ، وقفزت يده بحركة غريزية إلى ذراع إطلاق النار ، و ...

ولكن الكرة ارتطمت بذيل طائرته ، قبل أن يجذب الذراع ..

وانفجرت ..

وأطاح انفجارها بذيل الطائرة ، التى ارتجت فى عنف ، ثم هوت نحو الحقول ، فى نفس اللحظة التى ألقى (طارق) فيها كرة ثانية ، وسط الجنود تماماً ، فى حين ألقى (نور) الكرة الثالثة بطول ذراعه ، لتسقط فى تلك المسافة ، بين الجنود وإحدى المدرعات الأربع ..

وانفجرت الكرة الثانية بدوى مكتوم ، وسط الجنود ، واندفعت منها سحب من الدخان الكثيف ، فى نفس

اللحظة ، التى انفجرت فيها القنبلة الثالثة ، أمام المدرعة ، وانبعث منها ضوء ساطع ، أغشى عيون طاقمها تمامًا ..

وقفز (نور) و (أكرم) و (طارق) ، من فوق الأشجار ، وهم يغلقون عيونهم ، ويحيطون أنوفهم بقطع صغيرة من ثيابهم ..

وبدا الأمر أشبه بمعركة بين العميان ..

الرصاصات تنطلق فى كل مكان ، والقبضات والركلات تصيب كل من تبلغه ، دون تحديد أو تمييز ..

ولأنهم يعرفون هدفهم جيدًا ، فقد انطلق الثلاثة نحو المدرعة مباشرة ، مسترشدين بالضوء الساطع ، الذى ما زال يواصل الانطلاق ، من موضع القنبلة الثالثة ..

وقبل أن يستعيد طاقم المدرعة بصره ، كان الثلاثة ينقضون عليها من ثلاث جهات مختلفة ، بخطة تم إعدادها مسبقًا ، فوثب (طارق) على مقدمتها ، واندفعت قدمه عبر نافذتها الأمامية الصغيرة ، لتركل جندى المدفع الآلى فى قوة ، وقفز (أكرم) ، ليلكم جندى المدفع الخلفى ، فى أنفه مباشرة ، فى حين انقض

(نور) على طاقم القيادة ، فحطم أنف أولهم بلكمة ساحقة ، وانتزع الثانى من مكانه ، ليلقى به خارج المدرعة ، ثم ارتفعت قدمه لتنسف فك الثالث بركلة مدهشة ..

وبسرعة رائعة ، أخلى الثلاثة المدرعة من طاقمها ، وهتف (طارق) :

ـ هل يستطيع أحدكم قيادة هذا الشىء ؟!

قفز (أكرم) إلى مقعد القيادة ، وهو يجيب :

ـ أعتقد أن هذه المهمة تناسبنى .

كان الدخان ينقشع ، والضوء الساطع يخفت ، والضابط الألمانى يصيح فى جنوده ، فى صرامة عصبية متوترة ، عندما انتبه فجأة إلى أن المدرعة الرابعة تبتعد عن الموقع ، فى حين سقط طاقمها كله خارجها ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وصرخ :

ـ الجواسيس استولوا على إحدى مدرعاتنا ، ويحاولون الفرار بها .. امنعوهم بأى ثمن .

انطلقت الرصاصات خلف المدرعة كالمطر ، ولكن (أكرم) انطلق بها بأقصى سرعة ، وهو يهتف :

ـ هل تعتقدون أن لدينا أملًا فى الفرار ؟!

صاح به (نور) فى صرامة :

- انطلق على بركة الله ، وامض فى طريقك ، وليصنع الله (سبحانه وتعالى) بنا ما يشاء .

كان (أكرم) ينطلق بلا هدى ، والمدرعات الثلاث تنطلق خلفه فى إصرار ، فى حين يهتف ضابط فريق المطاردة ، عبْر جهاز الاتصال اللاسلكى :

- هؤلاء الجواسيس يستخدمون أسلحة عجيبة ، لا قبل لنا بها يا سيِّدى الكولونيل ، لقد أطلقوا سحبًا كثيفة من الدخان ، وضوءًا مبهرًا ، أغشى عيون الجميع ، ثم استولوا على واحدة من مدرعاتنا ، وانطلقوا بها هاربين .

استقبل الكولونيل (شتوتجارت) الرسالة ، فى دهشة بالغة ، وانعقد حاجباه أكثر وأكثر ، وهو يغمغم :

- أسلحة عجيبة .. سحب .. ضوء مبهر ؟! يبدو أن الأمر شديد الخطورة بالفعل .

ارتفعت سبابته تداعب ذقنه بضع لحظات ، فى تفكير عميق ، قبل أن يقول فى صرامة :

- فلتنطلق أربع من طائراتنا ، خلف تلك المدرَّعة ، وعندما يتم رصدها ، دعهم يتعاملون معها مباشرة .

سأله ضابطه فى اهتمام ، وهو يستعد لنقل الأمر إلى ممر الإقلاع :

- هل تعنى يا سيِّدى أن ..

قاطعه الجنرال ، فى صرامة أكثر :

- نعم أيها الضابط .. أريدهم أن ينسفوها بركابها على الفور .

وانعقد حاجباه فى شدة ، مستطردًا :

- وبلا إنذار ..

★ ★ ★

« ثلاث مدرعات تطاردنا يا رفاق .. »

نطق (أكرم) العبارة ، فى توتر شديد ، وهو ينطلق بالمدرَّعة ، بأقصى سرعة تسمح بها محركاتها ، نحو مجموعة أخرى من الأشجار ، تبدو واضحة من بعيد ، فالتفت (نور) و (طارق) إلى المدرعات الثلاث ، وقال الأوَّل فى حزم :

- إنهم يقودونها فى براعة أيضًا ، ولا ريب فى أن قادتهم قد أجروا عشرات الاتصالات أيضًا ، لإغلاق كل المسارات فى وجوهنا ، ولسنا نملك سوى قنبلتين يدويتين ، ومدفع آلى واحد ، كانوا داخل المدرَّعة .

قال (طارق) فى سرعة :

- والكرتين المتبقيتين .

قال (أكرم) فى عصبية :

- ترى ما الذى ستفعله كراتك هذه المرة ؟! هل ستصنع فيضانًا ، أم تطلق بركانًا من أعماق الأرض ؟!

ابتسم (طارق) فى سخرية ، وأخرج الكرتين من جيبه ، والتقط واحدة منهما ، قبل أن يعيد الكرة الفضية الأخيرة إلى جيبه ، قائلاً :

- هذا ليس سحرًا يا عزيزى (أكرم) .

ثم ألقى الكرة فى الهواء ، مستطردًا فى حزم :

- إنها تقنية متقدِّمة فحسب .

انطلقت الكرة نحو المدرَّعة الأولى ، وتضخَّمت فجأة فى الهواء ، حتى صارت بحجم كرة قدم كبيرة ، فاتسعت عينا قائد المدرَّعة ، وهو يهتف فى توتر :

- ما هذا الشىء ؟!

قبل أن يتمَّ عبارته ، كان جندى المدفع الأمامى يطلق رصاصاته نحو الكرة ، فى انفعال بالغ ..

وأصابت رصاصاته كلها تلك الكرة ..

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف رهيب ، انبعثت معه كرة هائلة من النار ، اندفعت نحو المدرعات الثلاثة ، وهى تتعاظم بسرعة مخيفة ، حتى صارت فى حجم منزل من طابقين ، فى مشهد تزلزلت له قلوب الرجال فى مدرَّعاتهم ، فصرخوا فى رعب ..

ولكن كرة النار جرفتهم أمامها فى عنف ..

وبلا رحمة ..

ودوت ثلاثة انفجارات قوية ، داخل كرة النار ، التى تحولَت فى لحظة إلى سحب من الدخان الأسود ، مخلفة بقايا وحطام المدرَّعات الثلاث ..

وانتفض جسد (نور) فى عنف ، وهو يهتف :

- يا للبشاعة !

كانت كل ذرة فى كيانه ترتجف ، مع ذلك العنف الرهيب ، الذى يبغضه ، وترفضه أعماقه منذ مولده ، حتى إنه صاح فى غضب :

- ألم تكن هناك وسيلة أقل بشاعة ؟!

أجابه (طارق) فى برود :

- إنها الحرب يا (نور) ، وأنت قلتها بنفسك ، إنهم ما كانوا ليرحمونا لو أننا وقعنا فى قبضتهم .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى صرامة :

ـ ثم إنه لم يكن لدى سلاح آخر .

سأله (أكرم) ، وهو يواصل الانطلاق بالمدرَّعة ، نحو مجموعة الأشجار الأخرى ، التى تقترب فى سرعة :

ـ وماذا عن الكرة الفضية ؟!

التقى حاجبا (طارق) ، وهو يقول :

ـ لها وظيفة أخرى تختلف .

لم يكد يتمّ قوله ، حتى أشار (نور) إلى السماء ، قائلاً :

ـ يبدو أننا نواجه هجومًا جويًا آخر يا رفاق .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان قائد الطائرات الألمانية الأربع يقول : عَبْر جهاز الاتصال اللاسلكى :

ـ من السرب إلى القاعدة .. تم رصد الهدف .. نريد تأكيدًا لأمر إطلاق النار المباشر .

أتاه صوت الكولونيل (شتوتجارت) بنفسه ، وهو يهتف :

ـ أى تأكيد يا رجل .. نفذ ما لديك من أوامر على الفور .

جذب الطيَّار حزام خوذته ؛ ليحكم وضعها فوق رأسه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ عُلِم ، وسينفَّذ .

قالها ، وأشار إلى رفاقه الثلاثة ، ثم انقضّ الجميع على المدرَّعة ، التى تنطلق بأقصى سرعتها ، فى خط مستقيم ، نحو مجموعة الأشجار مباشرة ، وهو يقول فى حزم :

ـ إطلاق النار فى آن واحد ، عند الرقم صفر .. خمسةٌ .. أربعةٌ .. ثلاثة .. اثنان .. واحد .. صفر .

ومع نطقه للرقم الأخير ، انقضت المقاتلات الأربع على المدرَّعة ..

وانطلقت نيرانها فى آن واحد ..

وارتطمت الرصاصات بكل موضع فى المدرَّعة ، التى ظلّت تواصل طريقها نحو الأشجار لثوان ، فارتفع الطيَّار فوقها ، وألقى إحدى قنابله نحوها ، مغمغمًا :

ـ نهاية الرحلة أيها السادة .

ومع آخر حروف كلماته ، ارتطمت القنبلة بالمدرَّعة ..

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف رهيب ، أطاح بالمدرَّعة ، ونسفها ..

بل سحقها ..

سحقها سحقًا .

* * *



ثم انقض الجميع على المدرّعة ، التى تنطلق بأقصى سرعتها ، فى خط مستقيم . .

٣ ـ المحــــاولة . .

« عجبًا . . »

تمتمت (نشوى) بالكلمـة ، فى حيرة واضحـة ، وهى تراجـع سجلات المقاتلـة الزمنيـة ، علـى جهـاز الكمبيوتـر الخـاص بهـا ، فـى مقـر الفريـق ، فـالتفتت إليها أمها ، تسألها فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟!

أشارت إلى الشاشة ، قائلة :

ـ الكمبيوتر لم يجد أية صعوبة ، فى قراءة سجلات المقاتلة .

جذبت العبارة انتباه (رمزى) ، فسألها فى اهتمام :

ـ وماذا فى هذا ؟!

هزّت رأسها لحظة ، قبل أن تجيب :

ـ المفتـرض أن تلك المقـاتلة آتيـة من حضـارة ماضيـة ، حسبما أكّد (طـارق) ، ومـن الطبيعـى أن تتبع تلك الحضارة نفس القواعد العلمية ، التى تتبعها

حضارتنا ، ولكن أساليب التعامل معها ستختلف بالتأكيد ، وهذا يعنى أنهم سيستخدمون لغة كمبيوتر ، تختلف عن اللغة التى ابتكرتها عقول العلماء ، فى زمننا نحن .

سألها فى اهتمام أكثر :

ـ ألا يحتمل أن تتشابه اللغات ، مع السير عبْر الخطوات نفسها ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، وقالت فى حزم :

ـ هذا الاحتمال يبلغ من الندرة ، ما يمكن أن نعتبره مستحيلاً ، فحتى فى عالمنا هذا ، ومع سير الجميع فى خط علمى واحد ، توجد عدة لغات للتعامل مع أجهزة الكمبيوتر ، التى تنتمى إلى شركات مختلفة .

التقى حاجباه فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ هذا صحيح .

سألتها (سلوى) فى لهفة :

ـ وما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

تنهدت (نشوى) ، وعادت تتطلع إلى شاشة الكمبيوتر فى صمت ، قبل أن تهز رأسها ثانية ، وتجيب :

ـ لمّا يمكننى تكوين رأى قاطع بعد ، فمن المحتمل أن (طارق) قد استبدل بلغة الكمبيوتر فى مقاتلته ، لغة الكمبيوتر التى نستخدمها فى زمننا ، حتى يمكنه ربط معلوماته بها ، وكأنها واحدة من شبكات المعلومات العديدة ، التى ربط الكمبيوتر الخاص به معها ، أو ...

بترت عبارتها بغتة ، فسألها (رمزى) فى لهفة :

ـ أو ماذا ؟!

صمتت بضع لحظات ، ثم هزَّت رأسها فى قوة ، مجيبة فى حزم :

ـ لست أدرى .. حقيقة لست أدرى .. ليس لدى شىء واضح ، فى هذه اللحظة .

تبادل (رمزى) و (سلوى) نظرة متوترة ، قبل أن تقول الأخيرة فى بطء :

ـ أما أنا ، فلدى شىء ما .

سألتها (نشوى) بسرعة :

ـ وما هو ؟!

أشارت بدورها إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، مجيبة :

- عندما راجعت الخرائط ، التى تم تزويد المقاتلة بها ، قبل أن تبدأ رحلتها ، وجدت الخرائط الفلكية والفضائية التقليدية ، وبينها خريطة ، لم يمكننى فهمها قط ، وكأنها خريطة لمسار ما ، لا نعلم أى شىء بشأنه .

سألتها (نشوى) :

- هل يمكننا رؤيته ؟!

ضغطت (سلوى) أحد أزرار الكمبيوتر ، قائلة :

- بالطبع .

ومع ضغطتها ، ظهرت على الشاشة خريطة كبيرة ، بيضاء اللون ، انتشرت فيها عدة دوائر سوداء ، مع خطوط حمراء ، تربط تلك الدوائر بعضها بالبعض ..

وإلى جوار الثقوب ، كانت هناك مجموعة من الأرقام والرموز ، تبدو وكأنها تعبّر عن الصفة الخاصة بكل ثقب ..

وفى اهتمام بالغ ، قالت (سلوى) :

- أخبرانى .. ألا يبدو لكم هذا أشبه بالوصف ، الذى أدلى به (طارق) ، لمنطقة ثقوب الزمن .

هتفت (نشوى) :

- بالضبط .. الفراغ الأبيض ، والثقوب السوداء .. ولكن ما الذى تعنيه المسارات الحمراء والرموز ؟!

أشارت (سلوى) إلى أحد هذه الخطوط والمسارات الحمراء ، قائلة :

- هذه على ما يبدو تحدّد الاتجاهات ، أو الترتيب الزمنى لتلك الثقوب ، فى محاولة لفهم طبيعتها ، ومعرفة النسق التى تنتظم به .

انعقد حاجبا (رمزى) فى حدة ، وهو يقول :

- رباه ! هل تعلمان ما الذى يعنيه هذا ؟!

أتاه صوت من خلفه ، يقول فى صرامة :

- يعنى ببساطة أن هذه المقاتلة قد بدأت رحلتها ، وهى تعلم جيّدًا أنها ستعبر حاجز الزمن .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، ووقع بصرهم على الدكتور (ناظم) ، الذى يدلف إلى المكان ، مستطردًا فى حدة :

- إننى لم أثق بذلك الشاب لحظة واحدة ، منذ البداية .

قال (رمزى) فى ضيق :

- هذا الأمر سابق لأوانه يا دكتور (ناظم) .

عبر الدكتور (ناظم) الحجرة ، وأشار إلى الخريطة على الشاشة ، قائلاً فى صرامة :

ـ حقًا ؟! بمَ تفسّر هذا إذن ؟!

أجابته (سلوى) :

ـ إننا لم نتيقّن بعد من أنها خريطة زمنية .. ربما كانت رسمًا لشىء آخر ، لم ندركه بعد .

التفت إليها الدكتور (ناظم) فى حدة ، ورمقها بنظرة غاضبة لحظة ، قبل أن يعود ببصره إلى الشاشة ، قائلاً :

ـ وماذا عن هذه الرموز والأرقام .. ألم ينتبه أحدكم إلى أنها مكتوبة باللغة العربية .

أجابته (سلوى) فى حزم :

ـ كل الخرائط كذلك ، ولكننا نعتقد أن (طارق) قد أعاد برمجة أجهزة المقاتلة ، بعد استقراره فى زمننا ، وربما كانت اللغة العربية ، المستخدمة فى كل الخرائط ، جزءًا من هذا التطوير .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه فى قوة ، وهو يقول :

ـ إنكم تحاولون افتراض حسن النية ، فى كل ما تجدونه .

قالت (نشوى) فى حذر :

ـ بل أنت الذى يسىء الظن ، فى كل ما يواجهه .

أجابها فى حدة :

ـ أظن أنه من واجبنا أن نفعل ، وإلا فكيف سيمكننا حمايةُ الوطن ، وضمان أمنه وسلامته ؟! ألم تروا ما فعله الحارس الآلى لذلك الشاب ، بمركز الأبحاث .. لقد دمَّر ثلثه على الأقل ؟!

قال (رمزى) فى صرامة :

ـ كان هذا بسبب سوء تقديركم للموقف يا دكتور (ناظم) ، ولقد حاول (طارق) تحذيركم من مغبة ما تفعلونه طوال الوقت .

وازداد صوته ونظراته صرامة ، وهو يضيف :

ـ ولا تنس أنه ، عندما كاد ذلك الآلى أن ينسفك ، تدخّل (طارق) ليمنعه من هذا .. لقد أنقذ حياتك .. أليس كذلك ؟!

ازداد انعقاد حاجبى الدكتور (ناظم) ، وهو يصمت بضع لحظات ، ثم يقول فى حدة :

ـ ما زلت لا أثق به .

وشرد بصره بضع لحظات أخرى ، قبل أن يضيف :

- والله (سبحانه وتعالى) يعلم ، ما الذى يمكن أن يفعله بـ (نور) و (أكرم) .. عَبْر الزمن .

هوت عبارته الأخيرة على رءوسهم كالصاعقة ، وانتفضت قلوبهم فى صدورهم ، وعقولهم تردِّد السؤال ذاته ..

تُرى ما الذى يمكن أن يفعله (طارق) بـ (نور) و (أكرم) ؟!..

عَبْر الزمن ..

* * *

كانت الشمس تميل إلى الغروب ، خلف الأشجار والحقول ، فى تلك البقعة ، على مشارف (باريس) ، والعلم النازى يرفرف على قمة القاعدة الجوية الألمانية ، عندما توقفت سيارة عسكرية سوداء ، تحمل شعار (الجستابو) ، أمام مبنى القيادة ، وهبط منها شاب أشقر ، أزرق العينين ، باردهما ، تطلَّع إليه الكولونيل ، (شتوتجارت) ، من خلف زجاج حجرة مكتبه ، وهو يغمغم فى توتر :

- هذا ما كنت أخشاه .. لقد أبلغنا (الجستابو) بالأمر ، فأرسلوا إلينا كبير شياطينهم بنفسه .

تطلَّع مساعده فى توتر مماثل ، إلى ضابط الجستابو ، الذى يعبر ساحة القاعدة ، فى خطوات واسعة صارمة قوية ، فى طريقه إلى مكتب الكولونيل ، ثم سأل فى قلق :

- هل تعرفه شخصيًّا يا سيِّدى الكولونيل ؟!

أومأ (شتوتجارت) برأسه إيجابًا ، وقال :

- ومن ذا الذى يجهله ؟!

ثم التفت إلى مساعده ، مستطردًا :

- إنه (كارل مانهايم) .. الجزَّار .. أخطر ضباط الجستابو ، وأكثرهم وحشية وشراسة .. ولقد عاد من فوره من الجبهة السوفيتية ، التى تم نقله إليها لمدة شهر كامل ، بسبب خطأ بسيط ، ارتكبه فى أثناء مطاردته لرجال المقاومة الفرنسية ، ومن المؤكد أن الأيام التى قضاها هناك ، قد ضاعفت من نقمته وشراسته ، حتى إن الشيطان نفسه سيغار من وحشيته وقسوته .

غمغم مساعده مبهورًا مبهوتًا :

- يا إلهى !

شدَّ الكولونيل قامته ، وعدَّل ثيابه العسكرية ، وضبط قبعته فوق رأسه ، وهو يتجه نحو الباب ، قائلاً :

ـ لا تفقد تماسك أعصابك الآن يا رجل ، فما دام الجزّار هنا ، ستحتاج إلى كل ذرة منها .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انفتح الباب ، قبل أن يبلغه ، وظهر على عتبته (كارل مانهايم) بذلك البرود الثلجى ، المطلّ من عينيه ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! كنت أظنّنى سأجدك فى انتظارى يا (كولونيل) .

رفع الكولونيل ذراعه بسرعة ، وهتف بملء حنجرته :

ـ هايل (هتلر)(*) .

رفع (كارل) ذراعه بدوره ، مرددًا :

ـ هايل (هتلر) .

ثم خفضها ، مستطردًا ببرود مستفز :

ـ ما زلت أصرّ على أنه كان ينبغى أن أجدك فى انتظارى .

تنحنح الكولونيل فى حرج ، وهو يقول :

ـ الواقع أننى كنت فى طريقى لاستقبالك ، عندما ..

(*) هايل (هتلر) : التحية الألمانية ، فى زمن الرايخ الثالث ، وهى تعنى يحيا (هتلر) .

قاطعه (كارل) بإشارة من يده ، وقال فى صرامة ، وهو يخلع قفّازيه الجلديين :

ـ لا بأس .. لا بأس .. هيا .. قصّ على ما واجهتموه هنا ، فالقصة التى أبلغونى إياها ، كانت أعجب من أن تصدّق .

تنهّد الكولونيل ، قائلاً :

ـ أظن قصتى لن تختلف عنها كثيرًا .

وفى سرعة ودقة ، راح يشرح له كل ما حدث منذ البداية ..

تلك المقاتلة العجيبة ، التى ظهرت فجأة فى الجو ، دون سابق إنذار ..

الأسلحة العجيبة ، التى استخدمها الغرباء ، الذين ظهروا فى المكان ، بعد اختفاء تلك المقاتلة ..

وفرارهم بالسيّارة المدرّعة ..

ومطاردة الطائرات لها ..

وانفجارها ..

و ...

« ولكننا لم نعثر على جثثهم داخلها .. »

أنهى الكولونيل قصته بهذه العبارة ، فانعقد حاجبا

(كارل) فى شدة ، وهو يرمقه بنظرة غاضبة ، قائلاً :
ـ ماذا تعنى بأنكم لم تعثروا على جثتهم داخلها ؟! هل احترقت عن آخرها ، حتى لم تتبقَّ منها عظمة واحدة ؟!
هزّ الكولونيل رأسه نفيًا ، وقال :
ـ أنت تعلم أن هذا لا يحدث أبدًا يا فون (كارل) .. حتى الانفجارات الهائلة لا يمكنها سحق الجسد البشرى تمامًا .. هناك حتمًا بقايا أو أشلاء ، مهما بلغ صغرها ، ولكن فى حالتنا هذه ، لم يكن هناك أدنى أثر .
سأله (كارل) فى حدة :
ـ أين ذهب الجواسيس إذن ؟!
تنهَّد الكولونيل ، قائلاً :
ـ لسنا ندرى فى الواقع ، فلقد تصوّرنا بعد نسف المدرَّعة ، أنهم قد لقوا مصرعهم داخلها ، ولقد دفعنا هذا إلى إيقاف عمليات المطاردة والبحث ، ولكن ما إن أصبح بإمكاننا الاقتراب من المدرَّعة ، بعد أن خبت نيرانها ، وبردت بقاياها ، حتى فوجئنا بأنها خالية تمامًا ، ولا يوجد بها أدنى أثر لبقايا أو أشلاء ، أو حتى ..

قاطعه (كارل) فى حدة :
ـ هذا أمر طبيعى ؛ لأنهم قفزوا خارجها ، قبل أن تبلغها الطائرات ، وتركوا طياريك الحمقى يطاردون مدرَّعة فارغة ، ويمطرونها برصاصات ، يساوى ثمنها أضعاف أضعاف ما تساويه عقولهم .
قال الكولونيل فى غضب :
ـ سيِّد (كارل) .. طيارونا من أفضل الـ ..
قاطعه (كارل) فى غضب صارم :
ـ اصمت .
لم يكن فارق الرتب بينهما يسمح لـ (كارل) بمثل هذا القول الجارح ، إلا أن الامتيازات ، التى يتمتع بها ضباط الجستابو ، جعلت الكولونيل يطبق شفتيه ، ووجهه يحتقن فى غضب مكتوم ، و (كارل) يتابع :
ـ كان ينبغى ألا توقف أعمال البحث والمطاردة ، إلا بعد حسم الموقف ، على نحو لا يقبل الشك .
غمغم الكولونيل فى عصبية :
ـ ما يحدث فى المعتاد أن ..
قاطعه (كارل) مرة أخرى ، فى صرامة أكبر :
ـ قلت لك : اصمت .. دعنى أفكر فى عمق .

والتقى حاجباه ، وهو يدور فى الحجرة ، فى توتر شديد ، قبل أن يلتفت إلى (كارل) ، ويسأله فى صرامة :

ـ متى انتهت عمليات البحث والمطاردة ؟!

كان وجه الكولونيل شديد الاحتقان ، وهو يجيب :

ـ منذ ما يقرب من ثلاث ساعات .

مطّ (كارل) شفتيه فى ازدراء ، قائلاً .

ـ ثلاث ساعات كاملة !! يا للسخافة !

وعاد يدور فى الحجرة بضع لحظات ، وهو يحكّ ذقنه بأصابعه ، فى تفكير عميق ، ثم لم يلبث أن توقّف ، ليسأل فى اهتمام :

ـ أين خريطة المنطقة ؟!

أشار (شتوتجارت) إلى مساعده ، قائلاً :

ـ احضر خريطة (باريس) ، و ..

قاطعه (كارل) فى صرامة :

ـ إننى أحفظ خريطة (باريس) عن ظهر قلب يا كولونيل .. أريد خريطة لهذه المنطقة .

كتم الكولونيل حنقه وغضبه ، وهو يقول لمساعده .

ـ لا بأس .. أحضر خريطة المنطقة فقط .

لم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان (كارل) يفرد خريطة المنطقة أمامه ، ويفحصها فى اهتمام بالغ ، قبل أن يقول :

ـ كما توقّعت تمامًا .. لا يوجد مكان آخر ، يمكن اللجوء إليه .

ثم طوى الخريطة ، مستطردًا :

ـ ليس أمامهم مكان آخر ، يمكنهم الذهاب إليه .. كل الطرقات تمرّ بمعسكرات ، أو قواعد جوية ، وليس هناك سوى الطريق إلى (باريس) .

سأله الكولونيل :

ـ هل تعتقد أنهم سيتجهون إليها ؟!

عقد (كارل) كفيه خلف ظهره ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنها المكان الوحيد ، الذى يمكنهم بلوغه ، والاختفاء وسط زحامه ، خلال تلك الساعات الثلاث .. يمكننى أن أراهن بحياتى كلها على أنهم هناك الآن .

صمت الكولونيل بضع لحظات ، ثم سأل فى حذر :

ـ هل تعتقد أنهم ينتمون إلى الحلفاء يا سيّد (كارل) ؟!

صمت (كارل) بضع لحظات ، انعقد حاجباه خلالهما ، حتى كادا يلتحمان ، قبل أن يجيب :

- ستكون كارثة ، لو أنهما كذلك .

وعاد إلى صمته لثانية أو ثانيتين ، ثم تابع فى حزم :

- ولكن هذه الحوادث العجيبة تذكرنى بحوادث أخرى ، شهدتها (باريس) ، منذ شهر أو يزيد .. ولو أنه هناك صلة بالفعل ، بين هذه وتلك ، فهناك من ينبغى إبلاغه بكل ما حدث هنا .

سأله (شتوتجارت) ، فى فضول حذر :

- من تقصد ؟!

شدّ (كارل مانهايم) قامته ، وهو يجيب فى حزم صارم :

- مدير المخابرات الألمانية فى (أوروبا) .. الجنرال (هولدشتاين) .. (فريدريش هولدشتاين) .

وكان هذا يعنى أن الصراع سينتقل إلى منطقة جديدة .. وخطيرة ..

إلى أقصى حد ..

* * *

« هل لى أن أعلم ، إلى أين نذهب بالضبط ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال فى عصبية ، وهو يسير مع (نور) و (طارق) ، وسط شوارع (باريس) القديمة ، التى ارتفعت على مبانيها الأعلام النازية ، وانتشر فى شوارعها الجنود الألمان ، بزيهم المميز ، على نحو يشف عن حالة الطوارئ ، التى تم إعلانها ، فى المدينة كلها ، فالتفت إليه (نور) ، قائلا ، وهو يحث الخطى .

- إلى المكان الوحيد الآمن ، فى مثل هذه الظروف .

تلفت (طارق) حوله فى قلق ، قائلاً :

- مما يبدو حولنا ، أعتقد أنه لا يوجد مكان واحد آمن من هنا .

أجابه (نور) فى حزم :

- بل يوجد مكان آمن .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى صرامة :

- ولكنه ليس على سطح الأرض .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة ، وهو يسأله :

- ماذا تعنى يا (نور) ؟!

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع من خلفهم صوت ، يقول بالألمانية فى صرامة :

- أنتم هناك .
سرت فى جسد (أكرم) قشعريرة باردة ، وهو يقول :
- يا إلهى ! لقد كشفوا أمرنا .
أجابه (نور) فى صرامة ، وهو يزيد من سرعته :
- تجاهله تمامًا .. سنتظاهر بأننا نجهل الألمانية ، ونواصل طريقنا ، حتى مدخل مترو الأنفاق هناك .. لابد أن نبلغه بأقصى سرعة .
قال (أكرم) فى عصبية :
- هل سنستقل المترو ؛ للفرار من الألمان ؟!
قبل أن يجيب (نور) ، ارتفع ذلك الصوت الصارم ، يهتف بالفرنسية هذه المرة :
- أنت هناك .. قفوا ..
تنهّد (طارق) ، مغمغمًا :
- يبدو أنه لا مفرّ من المواجهة .
كان هناك جنديان ألمانيان ، يندفعان نحوهم ، من جانب الطريق ، وهما يحملان مدفعيهما الآليين ، فاضطروا للتوقف ، واستداروا لمواجهة رجل طويل أشقر ، يرتدى معطفًا مدنيًا أسود اللون ، ويشير إليهم ، قائلاً فى غضب :

- لماذا رفضتم التوقُّف ؟!
أجابه (نور) فى سرعة :
- لم نرفض شيئًا ، ولكننا لم نفهم عبارتك الألمانية الأولى .
مسح وجوههم بنظرة صارمة ، تفيض شكًا وريبة ، قبل أن يسأل :
- هل تحملون أوراقًا تشفّ عن هويتكم ؟!
صمت الثلاثة ، وهم يتبادلون نظرة متوترة ، فمط الألمانى شفتيه ، وقال :
- آه .. فهمت .. لستم تحملون أوراق هوية ، أو تصاريح سير .
أشار (أكرم) بسبّابته ، قائلاً :
- ولكن لدينا تفسير منطقى لهذا .
سأله الرجل فى صرامة ، وهو يعقد كفيه أمام جسده :
- هات ما لديك .
تحرّك (نور) بغتة ، فى سرعة مدهشة ، ومال بجسده إلى الأمام ، لتقفز قدمه إلى الخلف ، وتغوص فى معدة أحد الجنديين ، هاتفًا :

- ها هو ذا .

شهق الجندى فى دهشة وألم ، وقبل أن تكتمل شهقته ، كان (أكرم) يدور حول نفسه ، ويلكمه فى أنفه لكمةً كالقنبلة ، أطاحت به ثلاثة أمتار كاملة إلى الخلف ..

وفى نفس اللحظة ، كان (طارق) يدور حول نفسه فى الهواء ، ويركل الجندى الآخر فى فكه مباشرة ، ركلتين متتابعتين ، أسقطتاه فاقد الوعى فى لحظة واحدة ..

وبسرعة مذهلة ، انتزع صاحب المعطف من جيبه مسدسًا ضخمًا ، صوّبه إلى (نور) ، وهو يهتف :

- اللعنة ! إذن فأنتم الـ ..

قبل أن يتمّ عبارته ، كان (نور) ينقضّ عليه كالليث ، ويقبض على معصم يده الممسكة بالمسدس ، ليزيحه بعيدًا ، فى حين انطلقت قبضته كالصاعقة ، تحطم فكه ، وتلقى به أرضًا ..

وكان من الطبيعى أن يثير هذا كل فرق الجنود ، فى الساحة الكبيرة ..

وأن يثير موجة هائلة من الهرج والمرج والفوضى فى المكان ..

ولكن (نور) هتف بالعربية :

- إلى المترو .

اختطف (أكرم) أحد المدافع الآلية ، وهو يعدو هاتفًا :

- لست أدرى ما الذى يمكن أن نفعله هناك ، ولكننى سأتبعك فى كل ما تمضى إليه يا (نور)

انطلق ثلاثتهم نحو فتحة مترو الأنفاق الباريسى ، وانطلق الجنود الألمان خلفهم ، ورصاصاتهم تدوى فى الساحة ، وسط صراخ المارة ، الذين راحوا يعدون فى كل اتجاه ، للنجاة بأرواحهم ، وشعر (أكرم) بالرصاصات ترتطم بالأرض حوله وخلفه ، فصاح :

- يا إلهى ! لقد فتحنا أبواب الجحيم يا رفاق .

صاح به (نور) :

- لو بلغنا النفق ، سينتهى كل شىء .

غمغم (طارق) :

- أتعشّم هذا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اخترقت رصاصة فخذه الأيمن ، فانطلقت منه صرخة ألم ، وهو يفقد توازنه ، ويسقط أرضًا ، فصرخ (أكرم) :

ـ لا .. (طارق) .

ثم استدار يطلق رصاصات المدفع الآلى ، نحو الجنود الألمان ، صارخًا :

ـ أيها الأوغاد .. أيها الوحوش .

أصابت رصاصاته أحدهم ، وأطاحت به فى عنف ، إلا أن هذا لم يوقف الآخرين ، الذين واصلوا إطلاق النار فى شراسة ، فهتف (نور) ، وهو ينحنى ليعاون (طارق) على النهوض :

ـ تراجع يا (أكرم) .. أسرع .. نحو نفق المترو .

قالها ، وراح يجذب (طارق) نحو النفق ، و(طارق) يهتف :

ـ اتركنى وانج بحياتك يا (نور) .. اتركنى باللّه عليك .

صاح به (نور) فى صرامة :

ـ اصمت .

أما (أكرم) ، فراح يتراجع فى بطء ، وهو يواصل تبادل إطلاق النار ، مع الجنود الألمان ، و ..

واخترقت رصاصة ذراعه اليسرى ، فتفجَّرت منها الدماء ، وهو يهتف :

ـ اللعنة ! اللعنة !

بلغ (نور) النفق مع (طارق) ، وهتف به :

ـ هيا يا (أكرم) .. أسرع .. أسرع ..

صرخ (أكرم) ، وهو يطلق رصاصاته فى غضب :

ـ وماذا تظننى أحاول أن أفعل ؟

أطاحت رصاصاته بجنديين آخرين ، قبل أن يدور على عقبيه ، ويعدو بأقصى سرعته نحو النفق ، و (نور) يهتف به :

ـ هيا يا (أكرم) .. هيا .. ستنجح ـ بإذن اللّه ـ هيا .

أطلق (أكرم) صرخة قوية ، وكأنما يستعين بها ؛ ليشحذ كل ما تبقى من قوة ، وهو يعدو بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

وأكبر ..

ومن خلفه ، انطلقت رصاصات الجنود الألمان كالمطر ، و ..

واخترقت إحدى رصاصاتهم ظهر (أكرم) ، ودفعته فى عنف إلى الأمام ، وهو يطلق شهقة ألم غاضبة قوية ، قبل أن يسقط أرضًا ، فصرخ (نور) :

ـ لا يا (أكرم) .. لا ..

وعضَّ (طارق) شفتيه ، هاتفًا :

ـ اللعنة !

حاول (أكرم) أن ينهض ، وهو يحمل مدفعه الآلى فى صعوبة ، هاتفًا :

ـ لقد ظفر بى الأوغاد .. اللعنة !

ثم رفع عينيه إلى (نور) ، وصاح ، بكل ما تبقّى له من قوة :

ـ اهرب يا (نور) .. اهرب .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى لحق به اثنان من الجنود الألمان ، فاستدار ليواجههم بمدفعه فى شراسة ، إلا أن أحدهم ركل المدفع من يده فى قسوة ، فصرخ :

ـ أيها الـ ..

قبل أن يتمّ صرخته ، هوى الجندى الآخر بكعب مدفعه على رأسه ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وتفجّرت من رأسه نافورة من الدم ، قبل أن يهوى كالحجر ..

وبكل المرارة واللّوعة فى أعماقه ، هتف (نور) :

ـ (أكرم) .. يا إلهى ! (أكرم) .

قالها ، وجذب (طارق) إلى داخل النفق ، مواصلاً رحلة الهروب ، فصاح به (طارق) فى توتر :

ـ هل سنترك (أكرم) خلفنا ؟!

قاوم (نور) دموعه فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ لم يعد بيدنا ما نفعله .

تعالى وقع أقدام الجنود ، وهم يهبطون خلفهما إلى النفق ، فهتف (طارق) :

ـ ولم يعد أمامنا مكان نذهب إليه أيضًا .

قال (نور) فى حزم :

ـ هذا ما يتصوّره الجميع .

كان يندفع نحو نفق المترو نفسه ، فسأله (طارق) :

ـ إلى أين تذهب ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ سترى .

قالها ، ووثب إلى الممر ، الذى ينطلق فيه المترو ، فاتسعت عينا (طارق) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ هل تدرى إلى أين تذهب بالضبط ؟!

أشار إليه (نور) أن يتبعه ، وهو يجيب فى حزم :

- بالتأكيد .

انطلق الاثنان عبْر ممر المترو ، الذى تعالى صوته ، وهو يقترب عبْر النفق ، فغمغم (طارق) فى توتر :

- لو لم نبلغ الهدف ، خلال دقيقة واحدة ، سيسحقنا المترو سحقًا ، تحت إطاراته الفولاذية .

اعتصر (نور) عقله ، محاولاً استعادة ذكرى بعيدة ، وهو يجيب :

- اطمئن .. سنبلغ الهدف قبلها .

كان صوت المترو يقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وهما ينطلقان فى محاذاة جدار الممر بأقصى سرعة ، تسمح بها إصابة (طارق) ..

وأخيرًا بلغا بابًا معدنيًا ، يغوص فى جدار الممر ، فهتف (نور) :

- ها هو ذا ..

كان المترو قد لاح فى الأفق ، فهتف (طارق) :

- أسرع بالله عليك يا (نور) .. أسرع .

أجابه (نور) فى توتر :

- اطمئن يا صديقى .. هذا هو المدخل ، الذى كنت أبحث عنه .

قالها ، ودفع رتاج الباب المعدنى بكل قوته ، و ..

ولكن الباب لم ينفتح ..

لقد بدا أنه مغلق من الداخل ، فى إحكام شديد ، فامتقع وجه (نور) ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! إنه مغلق .

اتسعت عينا (طارق) ، وهو يحدق فى المترو ، الذى لم يعد يفصله عنهما سوى عدة أمتار قليلة ، والذى انطلق نحوهما بأقصى سرعة ، وكأنه يستعد لسحقهما ..

بلا هوادة .

* * *





ـ اطمئن ياصديقى .. هذا هو المدخل ، الذى كنت أبحث عنه .. قالها ، ودفع رتاج الباب المعدنى بكل قوته ، و . . .

٤ ـ الجنـــــرال ..

فركت (سلوى) عينيها فى إرهاق ، وهى تجلس أمام الكمبيوتر ، وتنهّدت فى توتر ، قائلة :

ـ يبدو أن الدكتور (ناظم) محقٌ فى شكوكه .

سألها (رمزى) فى اهتمام :

ـ هل عثرت على شىء ما ؟!

رفعت سبّابتها فى صمت لبعض الوقـت ، وهـى تراجع بيانات الكمبيوتر لمرة أخيرة ، قبل أن تقول :

ـ تلك المقاتلة لم تعبر حاجز الزمن مصادفة .

انعقد حاجبا (نشوى) ، وهى تنهض من الأريكـة ، التى استلقت فوقها ، هاتفة :

ـ هل عثرت على ما يثبت هذا ؟!

أشـارت (سلوى) إلـى بعـض المعـادلات ، علـى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

ـ إلى حد ما ، فالبرنـامج معدّ بحيث يتعامل مع الاختلال الخلوى ، الذى ينشأ عن القفز من زمـن إلـى آخر .

نهض إليها (رمزى) ، وهو يسأل متوترًا :

ـ ألا يمكن أن ينشأ هذا الاختلال الخلوى ، فى أية ظروف أخرى ؟! أعنى من الانطلاق بسرعات كبيرة مثلاً ، أو اختراق الغلاف الجوى !

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تجيب :

ـ كلاّ .. كل هذه العوامل يمكن أن تسبّب ارتجاجات عنيفة ، أو زيادة كبيرة فى درجات الحرارة ، ولكنها لن تؤدى قط إلى أى نوع من أنواع الاختلال الخلوى .

بدا التوتر الشديد على وجه (رمزى) ، وهو يقول :

ـ إذن فقد انطلق (طارق) فى رحلته ، وهو يدرك جيدًا أنه سينطلق عبر الزمن .

أومأت (سلوى) برأسها ، مجيبة :

ـ بالضبط .

هتفت (نشوى) فى دهشة :

ـ ياإلهى ! لقد بدا لى صادقًا للغاية .

زفر (رمزى) فى عصبية ، قائلاً :

ـ وماذا أقول أنا ؟! لقد استمعت إليه كخبير فى الطب النفسى ، وصدّقت كل كلمة نطق بها .

هزّت (سلوى) رأسها ، قائلة :

ـ من الواضح أنه قد تلقى تدريبات مكثّفة ، لمواجهة خبراء الطب النفسى .

غمغم فى حنق :

ـ إلى هذا الحد ؟!

وصمت لحظة ، ليفكّر فى الأمر بعمق ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

ـ هل حدّدت السجلات الأزمنة ، التى ولجتها المقاتلة ؟!

هزّت (سلوى) رأسها ، قائلة :

ـ لم أنجح فى فتح كل الملفّات بعد .

ارتفعت دقّات عالية على الباب ، فى تلك اللحظة ، فالتفت إليه الجميع ، وقال (رمزى) بسرعة :

ـ ادخل يا من بالباب .

فتحت (مشيرة) باب الحجرة ، واندفعت إلى الداخل ، هاتفة :

ـ لقد توصّلت إلى أمر بالغ الأهمية .

سألتها (نشوى) فى دهشة :

ـ كيف أمكنك دخول المقرّ ؟!

أجابتها (مشيرة) فى انفعال :

- لقد منحنى الدكتور (ناظم) تصريحًا بهذا ، بعد أن علم ما لدى ، ولكن هذا ليس مهمًا الآن .. المهم ما أمكننى التوصل إليه .

قالت (سلوى) فى حيرة :

- وما الذى يمكنك التوصل إليه ؟!

هتفت (مشيرة) :

- الكثير .

ثم أخرجت من حقيبتها أسطوانة ليزرية مضغوطة ، ودستها فى كمبيوتر (نشوى) ، وهى تتابع بنفس الانفعال :

- لقد غذيت كمبيوتر الأخبار ، والفهرس الصحفى الشامل ، بصورتى (نور) و(أكرم) ، وكل المعلومات الخاصة بهما ، وطلبت منه البحث عن أى خبر ، أو أية معلومات تخصهما ، منذ فجر الصحافة المطبوعة والمرئية ، وحتى بداية القرن الحادى والعشرين ، ولقد حصلت على صورة واحدة ، ولكنها أثارت ذعرى بشدة .

ضغطت زر تشغيل الأسطوانات المضغوطة ، فظهرت على الشاشة صفحة من جريدة فرنسية قديمة ، تعود

إلى عهد الاحتلال النازى ، أشارت (مشيرة) إلى صورة فى جانبها الأيسر ، قائلة :

- هذه الصورة .

قالتها ، وأسرعت تكبّر الصورة ، لتملأ بها الشاشة كلها ، قائلة بصوت مرتجف :

- صورة (أكرم) .

اتسعت عيونهم فى شدة ، وهم يحدقون فى الصورة ، التى بدا فيها (أكرم) فاقد الوعى ، فوق فراش صغير ، داخل مستشفى قديم ، وإلى جواره ضابط ألمانى كبير ، برتبة جنرال ، وتحت الصورة خبر يشير إلى وقوع أحد زعماء المقاومة الفرنسية فى أيدى السلطات الألمانية ، التى قررت محاكمته و ...

وإعدامه ..

وفى ذعر ، هتفت (نشوى) :

- رباه ! إنه هو بالفعل .. لقد نقلتهم المقاتلة إلى (باريس) أيام الحرب العالمية الثانية .. يا إلهى ! يا إلهى !

وسأل (رمزى) فى توتر :

- هل تابعت الخبر ؟! أعنى هل .. هل ..

قاطعته (مشيرة) ، وقد أدركت طبيعة السؤال ، الذى يخشى إلقاءه :

- نعم .. لقد طالعت كل الأعداد التالية للصحيفة ، ولكنها لم تشر إلى الخبر مرة أخرى قط .. حتى الصحف الألمانية ، التى صدرت فى الفترة نفسها ، لم تنشر خبرًا واحدًا عن الأمر ، وكأن إعدام أحد زعماء المقاومة لا يعنيهم ، فى كثير أو قليل .

قالت (نشوى) فى ارتياع :

- ربما يعنى هذا أنهم لم ينجحوا فى إعدامه .

ارتجفت (مشيرة) ، وهى تقول فى مرارة :

- أو أن أمر إعدامه لم يكن يهم أحدًا .

كانت (سلوى) تتطلع فى اهتمام شديد إلى الصورة ، وعيناها تتركزان على وجه الجنرال ، الذى يقف إلى جوار (أكرم) ، ثم لم تلبث أن سألت (نشوى) فى اهتمام ، يحمل الكثير من القلق :

- هل يمكنك تكبير صورة ذلك الجنرال ؟

أجابتها (نشوى) ، وهى تبدأ عملية التكبير بالفعل :

- بالتأكيد .

ومع ضغطة الزر الأخيرة ، تضاعف حجم وجه الجنرال ، ليملأ الشاشة كلها ..

وهنا ، اتسعت عينا (رمزى) فى ذهول ، وهو يهتف :

- رباه ! لا يمكن أن يحدث هذا .

أما (سلوى) ، فغمغمت فى انهيار :

- لماذا يا إلهى ! لماذا ؟!

حدَّقت (نشوى) و (مشيرة) فى صورة الجنرال فى دهشة بالغة ، قبل أن تسأل الأخيرة فى قلق شديد :

- هل تعرفون هذا الرجل ؟!

تبادلت (سلوى) نظرة متوترة مع (رمزى) ، الذى أجاب :

- لا نعرفه فحسب ، ولكننا واجهناه من قبل أيضًا .

وأضافت (سلوى) ، فى صوت يشفَّ عن ذعرها البالغ :

- ولو أن تلك المقاتلة قد عادت بوالدك ورفيقيه ، إلى زمن هذا الرجل بالتحديد ، فهذا يعنى أنهم يواجهون خطرًا رهيبًا .. خطرًا لا قبل لهم به قط .

وانتقلت ارتجافتها المذعورة إلى الجميع ..
بلا استثناء ..

★ ★ ★

كان المترو ينطلق بأقصى سرعته ، ولا يوجد مكان واحد ، يصلح للاحتماء به ، و ..

وفجأة ، انفتح ذلك الباب المعدنى ، وامتدت منه يد قوية ، جذبت (طارق) داخله ، وصاحبها يهتف بـ (نور) :

- أسرع يا هذا .

وثب (نور) عبر الباب ، فى نفس اللحظة التى بلغ فيها المترو المكان ، وارتفع دويه داخل النفق ، بصوت يصم الآذان ، حتى تجاوز المنطقة إلى محطته ، التى اكتظت بالجنود الألمان الغاضبين ، الذين راحوا يفحصون أوراق الجميع فى قسوة ، ويفحصونهم ويفتشونهم بعصبية بالغة ، فى حين كان صاحب اليد القوية يضىء مصباحًا كبيرًا ، فى وجهى (نور) و (طارق) ، وهو يصوب إليهما مدفعًا آليًا قصيرًا ، ويسألهما فى صرامة :

- من أنتما ؟! ولماذا فعلتما ما فعلتماه ؟!

سأله (طارق) فى توتر :

- أتقصد دخولنا إلى نفق المترو ؟!

أجابه الرجل فى خشونة :

- بل أقصد ما فعلتموه مع الألمان .

تبادل (نور) و (طارق) نظرة سريعة ، قبل أن يجيب الأول :

- لم نكن نحمل أوراقًا .

سأله الرجل ، فى سرعة وصرامة :

- لماذا ؟!

هز (طارق) كتفيه ، قائلاً :

- هذا ما حدث .

نقل الرجل الضوء إلى وجهه ، وهو يقول فى صرامة شرسة :

- ماذا تعنى بأن هذا ما حدث ؟! الجميع يحملون أوراقًا ، حتى نحن .

بدا مزيج من الضيق والتوتر ، على وجه (نور) ، الذى سأل الرجل بغتة :

- أين يمكننا أن نجد (برجيت) و (آلان) ؟!

انعقد حاجبا الرجل فى شدة ، وأضاء وجهيهما ، دون أن يجيب ، فتابع (نور) :

- أنت تعمل فى صفوف المقاومة الفرنسية .. أليس كذلك ؟!

مال الرجل نحوه ، وقال فى صرامة شديدة ، وهو يلكزه بفوهة مدفعه الآلى القصير :

- من أنت يا هذا ؟! كيف تعرف (برجيت) و(آلان) ؟! أجب بصدق ، وإلا .

تطلّع (نور) إلى عينيه مباشرة ، دون أدنى خوف أو وجل ، وقال :

- لو أننى أجبتك بصدق ، لما صدّقت كلمة واحدة مما أقول يا رجل ، ولكن كل ما تعنيك معرفته ، فى هذه اللحظة ، هو أننى لست جاسوسًا ، ولست أحاول خداعك .

ظلّ الرجل يتطلّع إليه بضع لحظات ، فى صرامة شديدة ، قبل أن يلتفت إلى (طارق) ، ويقول فى خشونة :

- وماذا عنك ؟!

هزّ (طارق) كتفيه ، وقال فى هدوء :

- كل ما قاله ينطبق علىّ أيضًا .

نقل الرجل بصره بينهما بضع لحظات ، ثم قال فى خشونة :

- توجد وسيلة واحدة ، للتيقّن من هذا .

ثم أحكم إغلاق الباب المعدنى من الداخل ، ودفعهما فى قسوة ، مستطردًا :

- أن تواجها (برجيت) مباشرة .

سار الثلاثة عبر شبكة معقّدة من الأنفاق والممرات ، على نحو يوحى بأن دليلهما يحفظ طريقه عن ظهر قلب ، فمال (طارق) على أذن (نور) ، هامسًا :

- هل تعرف (برجيت) هذه حقًا ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم ، ولكننى أخشى أنها لن تذكر وجهى قط .

سأله فى قلق :

- وكيف هذا ؟!

أجابه (نور) :

- لقد التقيت بها فى مغامرة سابقة ، جاءت بالفريق كله إلى هذا الزمن بالتحديد ، ولكن الظروف حتّمت أن نمحو كل ما يتعلّق بنا من ذاكرة الجميع ، قبل أن نعود إلى عصرنا .

سأله فى توتر :

- وكيف فعلتم هذا ؟!

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يجيب :

- بالتنويم المغنطيسى(*) .

انعقد حاجبا (طارق) بضع لحظات ، قبل أن يغمغم :

- فهمت .

قال مرافقهما فى صرامة :

- اصمتا .

ابتسم (طارق) فى سخرية ، قائلاً :

- حتى الألمان يسمحون لأسراهم بالتحدّث .

زمجر الرجل ، وقال فى خشونة :

- إننى لست ألمانيًا .

ثم أضاف فى حدة :

- وأنتما لستما فرنسيين .. لقد سمعتكما تتحدثان بلغة غريبة منذ قليل .

قال (نور) فى هدوء :

- إنها ليست الألمانية على الأقل .

دفعه الرجل أمامه فى غلظة ، قائلاً :

(*) راجع قصة (شيطان الأجيال) .. المغامرة رقم (٥٦) .

- ومن أدرانى ؟! ربما كنتما عدوين ، تحاولان كشف أسرارنا .

تبادل (نور) و (طارق) نظرة سريعة ، قبل أن يقول الأخير فى برود :

- نعم .. من أدراه .

لم يكد يتمّ قوله ، حتى دار على عقبيه فى سرعة مدهشة ، وركل المدفع الآلى القصير من يد الرجل ، مستطردًا :

- لا بد أن نمنحك دليلاً إذن .

وفى نفس اللحظة ، انحنى (نور) ، ودار حول نفسه ، ثم اعتدل يلكم الرجل فى فكه بكل قوته ، وهو يلتقط المدفع من الهواء ..

وسقط الرجل أرضًا ، وطار مصباحه اليدوى من يده ، فانحنى (طارق) يلتقطه ، وهو يقول ساخرًا :

- هل يكفيك هذا الدليل ؟!

هتف الرجل ، وهو ينهض فى عصبية :

- إنه يثبت أنكما ..

ألقى إليه (نور) مدفعه ، قبل أن يتمّ عبارته ، وهو يقاطعه ، قائلاً :

ـ أننا ماذا ؟!

التقط الرجل المدفع ، في دهشة بالغة ، وأمسك المصباح في قوة ، وهو ينقل بصره بينهما ، في حذر شديد ، فقال (طارق) :

ـ والآن ، دعنا نكمل رحلتنا ، دون أن تصوِّب إلينا هذا المدفع السخيف .

رفع الرجل فوهة مدفعه نحوهما في توتر ، وانفرجت شفتاه ؛ ليقول شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبقهما ، وخفض فوهة المدفع في بطء ، ثم قال في غلظة :

ـ تقدَّما .

لم يتبادلوا كلمة أخرى ، وهم يكملون طريقهم ، عَبْر شبكة الأنفاق المعقَّدة ، التي عجز الألمان طويلاً عن كشفها ، حتى بدا بصيص من الضوء من بعيد ، فغمغم الرجل في خشونة :

ـ لقد وصلنا .

راح الضوء يزداد وضوحًا ، وهم يقتربون منه ، حتى بدت لهم قاعة كبيرة ، تضمّ عددًا من الرجال والنساء ، نهضوا كلهم يتطلّعون إليهم في توتر

ملحوظ ، قبل أن تسأل واحدة منهم مرافقهما في صرامة :

ـ من هذان ؟!

أجابها الرجل ، في احترام واضح :

ـ إنهما اللذان اشتبكا مع الألمان في الخارج .. لقد حاولا الفرار عَبْر الأنفاق ، وكأنهم يعلمون طريقهم جيِّدًا .

قالت المرأة في حدة :

ـ فأحضرتهم أنت إلى هنا .. أليس كذلك ؟!

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

ـ لو أنهما جاسوسان ، يمكننا قتلهما هنا ، و ..

قاطعه (نور) ، وهو يقول للمرأة فجأة :

ـ مرحبًا يا (برجيت) .

انعقد حاجبا المرأة في شدة ، وهي تتطلّع إليه في عصبية ، قبل أن تسأله في حدة :

ـ هل تعرفني ؟!

اتسعت عينا المرافق في ذعر ، وهو يقول :

ـ لقد .. لقد أخبرني أنه يعرفك ، أنت و (آلان) ، و ..

أشارت إليه المرأة بالصمت فى صرامة ، وهى تكرّر سؤالها ، فى حدة أكثر :

ـ قل لى يا هذا : هل تعرفنى ؟!

تنهّد (نور) ، وهو يجيب :

ـ الواقع أننى لست أعرفك فحسب يا (برجيت) ، ولكننا قاتلنا جنبًا إلى جنب أيضًا ، منذ بضعة أشهر ، من زمنك هذا .

تبادل الجميع نظرة حائرة قلقة ، فى حين مالت (برجيت) إلى الأمام ، وكأنها تلقى نظرة أكثر قربًا على وجه (نور) ، قبل أن تقول ، فى صرامة عصبية :

ـ أنت كاذب .. إننى لم أرك فى حياتى قط .

قال (نور) :

ـ هذا ما تتصوّرينه ، فقد خضعت للتنويم المغنطيسى ، و ..

قاطعته بإشارة صارمة أخرى ، قائلة :

ـ كفى .

ثم التفتت إلى رفاقها ، مستطردة :

ـ لقد كشفتهما محاولة الكذب الرديئة هذه .

وعادت تستدير إلى (نور) و (طارق) ، مضيفة فى صرامة :

ـ إنهما جاسوسان .

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، فى حين عقد (طارق) ساعديه أمام صدره ، وهو يغمغم :

ـ كنت أعلم أنها لن تصدّق هذا .

رمقته (برجيت) بنظرة صارمة ، ثم أدارت عينيها إلى مرافقهما ، وقالت بلهجة آمرة :

ـ اقتلهما يا (جولفيه) .

وبلا أدنى تردّد ، رفع (جولفيه) فوهة مدفعه الآلى ، و ..

ودوت الرصاصات ، وسط الأنفاق ..

* * *

لم تكد سيارة الجنرال (فريدريش هولدشتاين) تتوقّف ، أمام ذلك المستشفى الصغير ، فى قلب (باريس) ، حتى سادت المكان موجة من التوتر ، مع طاقم حراسته الخاص ، الذى انتشر فى كل مكان ، والإجراءات الأمنية الصارمة ، التى اجتاحت المستشفى كله ، دون أن يبالى الجنود بالمرضى وأحوالهم ..

وفى رصانة قاسية ، صارمة ، غادر الجنرال سيارته ، وأدار عينيه فيما حوله بنظرة مخيفة ، قبل أن يدلف إلى المستشفى ..

كان طويل القامة ، ممشوق القوام ، واضح القوة والصرامة ، كثيف الشعر ، ناعمه ، أشيب الفودين ، عريض الفك ، ضيق العينين ، أزرقهما ، وكانت خطواته الواسعة القوية تشفّ عن طبيعته الواثقة القاسية ، وهو يدقّ الأرض بقدميه ، متجهًا نحو حجرة فى نهاية الممر ، وقف على بابها ثلاثة من الجنود ، ما إن لمحوا الجنرال ، حتى ضربوا الأرض بأقدامهم فى قوة ، ورفعوا أذرعتهم فى آن واحد ، ليهتفوا :

- هايل (هتلر) .

تجاهلهم الجنرال تمامًا ، وهو يدفع الباب بيده ، ويدلف إلى الحجرة ، فالتفت إليه (كارل مانهايم) ، وهتف بدوره :

- هايل (هتلر) .

رمقه الجنرال بنظرة صارمة قاسية ؛ وهو يقول :

- أتعشّم أن يستحق الأمر قدومى شخصيًّا

يا (كارل) ، فسيؤسفنى أن أوقّع قرارًا بعودتك إلى الجبهة السوفيتيّة ، بعد أن أعدتك منها ، منذ أيام قلائل .

شدّ (كارل) قامته ، وهو يقول فى اعتداد :

- أنا واثق من أن سيدّى الجنرال لن يندم أبدًا ، على إعادتى إلى (باريس) .

تطلع إليه الجنرال بضع لحظات ، فى برود قاس ، قبل أن يقول :

- الأمر يستحق إذن .

أجابه (كارل) فى سرعة :

- بالتأكيد .

ثم أشار إلى (أكرم) ، الفاقد الوعى على فراش صغير ، مستطردًا :

- هذا الرجل أحد ثلاثة ، اشتبكوا مع رجالنا ، منذ أقل من ساعة ، عندما طالبوهم بإبراز أوراقهم وهوياتهم .

انتزع (هولدشتاين) قفازيه ، وهو يقول :

- لست أعتقد أنك قد أحضرتنى شخصيًّا ، من أجل أمر كهذا .

أومأ (كارل) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالطبع يا جنرال ، فاعتداء تقليدى كهذا لا يعنى أحدًا ، ولا يدفعنا بالتأكيد إلى نقل مصاب ما إلى المستشفى ، بأقصى سرعة ممكنة ، أو إجراء جراحة عاجلة له ، فى محاولة لإنقاذه .

وعاد يشدّ قامته ، قبل أن يتابع فى حزم :

ـ ولكن هذا الرجل ليس عاديًا بالتأكيد .

سأله الجنرال فى اهتمام :

ـ كيف ؟!

ابتسم (كارل مانهايم) ، وقال :

ـ سأروى لك القصة كلها يا جنرال .

وطوال ربع ساعة كاملة ، روى له ما حدث ، منذ ظهرت تلك المقاتلة فجأة فى السماء ، وكادت ترتطم بطائرة ألمانية ، وحتى وقع ذلك الاشتباك ، الذى أسفر عن سقوط (أكرم) ، وفرار (نور) و(طارق) ، ثم تابع :

ـ كان من الممكن ألا نربط أبدًا ، بين الرجال الثلاثة ، الذين اشتبكوا مع إحدى فرق التفتيش ، لولا أمرين .. أولهما هذيان ذلك الرجل ، وهو فاقد الوعى ،

واللغة غير المألوفة ، التى يتحدث بها ، والتى أشار أحد مترجمينا إلى أنها لغة شرقية على الأرجح .

تطلّع الجنرال إلى (أكرم) بضع لحظات ، ثم سأل فى اهتمام :

ـ وثانيهما ؟!

أخرج (كارل) من جيبه ساعة صغيرة ، وهو يجيب فى حزم :

ـ ساعته .

كرّر الجنرال ، وهو يتطلّع إلى الساعة :

ـ ساعته ؟!

ناوله (كارل) إياها ، قائلاً بلهجة خاصة :

ـ هل سبق لك أن رأيت شيئًا كهذا ؟!

التقط (هولدشتاين) الساعة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إلى شاشتها الصغيرة ، التى تظهر فوقها الأرقام السوداء ، ذات البلّورات السائلة ، وغمغم فى توتر شديد :

ـ أى شىء هذا ؟!

كانت شاشة البلّورات السائلة هذه أمرًا تستحيل رؤيته ، فى ذلك العصر ، أو حتى بعد ربع قرن آخر ..

ولكن شيئًا ما فى أعماق (هولدشتاين) ، جعل المشهد مألوفًا ..

وإلى حد مذهل ..

بل لقد انطلق عقله بغتة ، يربط الأمر بعشرات الأشياء الأخرى ..

وتفجّرت آلاف الصور ، المختزنة فى عقله الباطن ..

صور لعصور أخرى ، وأزمان مختلفة ، امتزجت كلها ببعضها ، على نحو أربكه وأزعجه ، وجعله يغمغم مكررًا :

- أى شىء هذا ؟!

لم يكد ينطق عبارته هذه ، حتى تأوّه (أكرم) ..

تأوّه ، وهو يهذى بكلمات محدودة ..

كلمات نطقها بالعربية ..

ومعها اسم ..

اسم أقرب الناس إليه ..

(نور) ..

وما إن اخترقت تلك الكلمات القليلة ، المصحوبة باسم (نور) ، أذنى (هولدشتاين) ، حتى انتفض جسده فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ..

وفى أعماقه ، انفجرت قنبلة هائلة ..

قنبلة من الأحداث والذكريات ، انطلقت فجأة من بقعة مظلمة فى عقله ، لتغمر كيانه كله ..

وتسرى فى عروقه ..

وأعصابه ..

وخلاياه ..

قنبلة ، جعلته يثب من مقعده ، ويهتف فى قوة ، جعلت (كارل) يتراجع فى دهشة وحدة :

- اللعنة !

ارتبك (كارل) ، وهو يقول :

- هل .. هل أخطأت يا سيّدى الجنرال ؟!

استدار إليه (هولدشتاين) بحركة حادة للغاية ، وتألّقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يحدّق فيه ، وكأنه يراه لأوّل مرة فى حياته ، وطال صمته لنصف دقيقة كاملة ، وكأنما تعجزه تلك الذكريات المتدفّقة عن النطق بحرف واحد ..

وأخيرًا ، انتفض جسده مرة أخرى فى عنف ، قبل أن يجيب فى انفعال :

- مطلقًا يا (كارل) .

وعاد يلتفت إلى (أكرم) ، مستطردًا فى حماس شديد :

ـ أريدكم أن تمنحوا ذلك الرجل كل عناية طبية ممكنة .. أريده أن يسترد صحته وعافيته ، بأسرع وقت ممكن .

ثم شدّ قامته ، وأضاف فى صرامة مخيفة :

ـ وعندما يفتح عينيه ، أريد أن استجوبه بنفسى .

وتألّقت عيناه مرة أخرى ، وهو يكرّر :

ـ بنفسى يا (كارل) .

ارتجف كيان (كارل) كله ، وهو يتطلّع إليه مبهوتًا ، ومغمغمًا :

ـ كما تأمر يا جنرال .. كما تأمر .

وتضاعفت ارتجافته ، مع مرأى عينى الجنرال (هولدشتاين) ، اللتين بدتا ، فى تلك اللحظة بالذات ، أشبه بعينى شيطان ..

شيطان يمتلك كل القوة ..

وكل الزمن .

* * *



وفى أعماقه ، انفجرت قنبلة هائلة .. قنبلة من الأحداث والذكريات ، انطلقت فجأة من بقعة مظلمة فى عقله ..

٥ - الشيطـــان ..

اعتدل القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فى توتر ملحوظ ، وهو يستمع إلى ما يرويه الدكتور (ناظم) حول ما توصل إليه أفراد الفريق ، ثم لم يلبث أن نهض من خلف مكتبه ، وهو يقول :

- يا إلهى ! يا لها من مصادفة ! أمن بين كل عصور الدنيا ، لا تذهب بهم المقاتلة الزمنية إلا إلى ذلك العصر بالذات .

تنهّد الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- إنها مصادفة مذهلة بحق يا سيّدى ، حتى إن خبراءنا يؤكدون أن احتمال هبوطهم فى ذلك العصر بالتحديد ، لم يكن يتجاوز الواحد فى المليون .

عقد القائد الأعلى كفيه خلف ظهره ، وهو يدور فى المكان ، قائلاً :

- ولكنهم سيواجهون خطرًا داهمًا ، فى ذلك الزمن ، وخاصة مع وجود ذلك الشيطان هناك .

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، ثم قال فى حزم :

- لا أحد يدرى يا سيّدى القائد .

التفت إليه القائد بنظرة متسائلة ، فتابع بسرعة :

- إننا لا نمتلك سوى صورة واحدة لـ (أكرم) ، أو لشخص يشبه (أكرم) ، فى (باريس) ، إبان زمن الاحتلال النازى ، وإلى جواره الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، أو الدكتور (خالد رضوان) ، رجل المستقبل ، الذى انطلق فى رحلته عَبْر الزمن ، كمحاولة للسيطرة على التاريخ ، وتطويعه لإرادته .. ولقد واجه (نور) وفريقه ذلك الشيطان قديمًا ، فى عدة عصور من التاريخ ، وحسموا الأمر فى (باريس) إبان الحرب العالمية الثانية ، وانتصروا على الرجل ، وأفقدوه ذاكرته ، بوساطة التنويم المغنطيسى(*) .

أشار القائد الأعلى بسبَّابته ، قائلاً :

- هم أيضًا فقدوا ذاكرتهم ، بعد عودتهم من تلك المغامرة .

أجابه الدكتور (ناظم) فى سرعة :

(*) راجع قصة (شيطان الأجيال) .. المغامرة رقم (٥٦) .

- ولكن عند أول مواجهة تالية ، للسفر عبر الزمن ، انتعش عقلهم الباطن ، واستعاد كل ذكرياته السابقة .

قال القائد الأعلى فى حزم :

- هو أيضًا يمكن أن يستعيد ذاكرته .

لوَّح الدكتور (ناظم) بسبَّابته ، قائلاً :

- لو واجه المؤثِّر المناسب .

أشار القائد الأعلى إلى الصورة ، قائلاً :

- أتعتقد أنه لم يواجهه بعد ؟!

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وقال :

- من يدرى ؟! الصورة تجمعه مع (أكرم) ، وليس مع (نور) ، وهو لم ير (أكرم) فى حياته قط ، ثم ..

صمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

- ثم إننا لا ندرى فى أى عصرهم الآن .. هذا لو أن كلمة الآن هذه يمكن أن تعنى شيئًا ، فى أمر كهذا .

تطلَّع إليه القائد الأعلى فى اهتمام ، وهو يسأله :

- ما الذى تشير إليه بالضبط ؟!

لوَّح الدكتور (ناظم) بذراعيه ، قائلاً :

- لقد انطلقت بهم المقاتلة ، فى رحلة ، أو عدة رحلات عشوائية ، ربما بدأت بذلك العصر ، أو انتهت إليه ، وربما كانت رحلة واحدة ، أو ألف رحلة .. من يدرى !

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :

- باختصار ، ما دمنا لا نملك العودة إلى أى زمن كان ، وإرسال قوَّات لإعادتهم ، فهذا يعنى أننا لا نملك لهم شيئًا .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يشير إليه ، قائلاً :

- ماذا قلت يا رجل ؟!

ارتبك الدكتور (ناظم) ، لهذا الانفعال المفاجئ ، وقال :

- كنت أقول إننا لا نستطيع أن نفعل ..

هتف به القائد الأعلى مقاطعًا :

- ليس هذا ما أعنيه .. إنما كنت أقصد حديثك عن عدم امتلاكنا لأية وسيلة ، للسفر عبر الزمن .

تنحنح الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- نعم .. كنت أقول : إنه ما دمنا لا نمتلك الـ ..

قاطعه القائد الأعلى للمرة الثانية ، قائلاً :
- ولماذا لا نمتلك تلك الوسيلة ؟!
اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى دهشة ، وهو يقول :
- لماذا لا نمتلكها ؟! أى سؤال هذا يا سيِّدى ؟!
أجابه القائد الأعلى فى حزم :
- إنه السؤال الصحيح ، فى الموقف الصحيح يا دكتور (ناظم) .. لقد حصلنا على كل سجلات المقاتلة الزمنية ، متضمِّنة خرائط السير والملاحة ، وما اتفق الجميع على أنه خريطة للثقوب الزمنية ، فلماذا لا نبدأ من الآن ، فى صنع أوَّل آلة زمن .
اتسعت عينا الدكتور (ناظم) ؛ انبهارًا بالفكرة ، وقال :
- رباه ! هذا صحيح .. بوجود كل هذه الوثائق ، يمكننا أن نبدأ على الأقل .
ثم استدرك فى توتر :
- ولكن هذا سيحتاج إلى الوقت .. الكثير من الوقت .
لوَّح القائد الأعلى بذراعيه ، هاتفًا :
- وفيم يهمّ الوقت ، فى أمر كهذا ؟!

ومال نحوه ، مستطردًا فى حماس :
- عندما نمتلك فى النهاية آلة زمن حقيقية ، سيصبح الزمان كله ملك يميننا .
واعتدل ، وعيناه تتألَّقان فى حزم ، وهو يكرِّر :
- الزمان كله .

★ ★ ★

« مهلاً .. »
انطلق هتاف (طارق) فجأة ، وهو يدور حول نفسه ، ويمسك معصم (جولفيه) ، ليرفع فوهة مدفعه الآلى عاليًا ..
وانطلقت رصاصات المدفع ، تدوى وسط الأنفاق .. وتخترق سقف المكان ..
وبسرعة ، قفز الجميع إلى مدافعهم الآلية ، وصاحت (برجيت) :
- خيانة .. اقتلوهما على الفور .. اقتلوهما .
ولكن (نور) صاح بدوره :
- توقَّفوا .. لا تفسدوا كل شىء بانفعال طارئ .. أين (آلان) ؟! أريد أن أتحدَّث إليه شخصيًا .. أين هو ؟!

صاحت (برجيت) فى غضب :
- لا تستمعوا إلى الجاسوس .. أطلقوا النار .
« قفوا .. » ..
انطلقت الصيحة الصارمة ، داخل القاعة الواسعة ، فتجمَّد الجميع دفعة واحدة ، وبدا المشهد ، لثانية أو يزيد ، كما لو أنه صورة ثابتة قديمة ، قبل أن يشقَّ (آلان) طريقه وسط الصفوف ، قائلاً فى صرامة :
- ماذا يحدث هنا ؟! هل انتقلت المعركة ، من الخارج إلى الداخل ؟!
هتف (نور) فى ارتياح :
- (آلان) .. حمدًا لله أنك وصلت ، فى الوقت المناسب .
التفت إليه (آلان) فى حركة حادة ، قائلاً :
- من أنت يا هذا ؟!
صاحت (برجيت) :
- هل رأيتم ؟! هل سمعتم بأنفسكم ؟! (آلان) نفسه لا يعرفه .
انعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يقول :
- هل تتصوَّرون أنكم ستستطيعون هزيمة الألمان ،

بهذا الأسلوب الانفعالى العدوانى ، الذى يرفض الاستماع ، لحظة واحدة ، لصوت العقل ؟!
دوت عبارته فى القاعة كقنبلة عنيفة ، ران بعدها صمت تام ، على نحو جعل (برجيت) تغمغم فى عصبية :
- لقد نجح فى استمالتكم .. أليس كذلك ؟!
تابع (نور) فى صرامة ، وكأنه لم يسمعها :
- ماذا يضيركم ، لو استمعتم إلينا لدقيقة واحدة ؟! إننا هنا بين أيديكم ، ويمكنكم قتلنا وقتما تشاءون .. استمعوا إلينا أولاً ، وفكِّروا فى كل ما نقول ، وبعدها اقتلونا ، لو أيقنتم من أننا كاذبان ، أو نعمل لحساب النازيين .
دام الصمت لبضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول (آلان) فى حسم :
- منطق معقول .
هتفت (برجيت) فى حدة :
- ماذا تقول يا (آلان) ؟! إنهما جاسوسان دون شك .. اقتلهما على الفور .. اقتلهما قبل أن ..
قاطعها فى صرامة :

- بل ماذا دهاك أنت يا (برجيت) ؟! لماذا أصبحت شديدة العصبية ، فى الآونة الأخيرة .

احتقن وجهها ، وهى تقول :

- أنت تعلم ما يفعله بنا الألمان طوال الوقت .. إنهم مستعدون لدفع نصف أعمارهم ، فى سبيل التوصّل إلى وكرنا هذا .. وأنتم تعلمون ماذا سيفعلون بنا ، لو توصّلوا إليه .

قال (آلان) فى صرامة :

- هذا لا يمنعنا من الاستماع إليهم يا (برجيت) .

ابتسم (طارق) ، قائلاً :

- هذا صحيح يا (آلان) .

التفت إليه (آلان) فى صرامة ، وقال :

- لا تتدخّل يا هذا .. إنك لست ..

بتر (آلان) عبارته بغتة ، وهو يتطلّع إلى عينى (طارق) مباشرة ، وخيّل إليه أنه سيهوى فيهما ، كما يهوى فى بئر واسعة عميقة ، و (طارق) يقول فى صوت ، بدا وكأنه ينبعث من أعماقه هو :

- انظر جيّدًا إلى (نور) يا (آلان) .. انظر إليه ، واسترجع كل ذكرياتك السابقة معه .

اتسعت عينا (برجيت) عن آخرهما ، وهى تردّد :

- (نور) .. يا إلهى ! هذا الاسم .

أما (آلان) ، فقد اشتعلت ذاكرته بغتة ، وهو يغمغم .

- نعم .. إننى أذكر هذا .. (نور) المستقبل وفريقه .. نعم أذكره .

انتفض جسد (برجيت) فى عنف ، وهتفت :

- رباه ! (نور) .

استعاد عقلها كل ذكرياته الدفينة فجأة ، ووجدت نفسها تندفع نحو (نور) ، وتقفز متعلّقة بعنقه ، هاتفة :

- يا إلهى ! إنه أنت حقًّا يا (نور) .. كيف أمكننى نسيانك ؟! أين الباقون ؟! أين (سلوى) و(محمود) ، و(رمزى) ؟! رباه ! إنك تبدو أكبر عمرًا ، على الرغم من أنه لم يمض سوى شهر أو يزيد ، منذ آخر لقاء لنا .

وهتف (آلان) بدوره ، وهو ينتزع عينيه من عينى (طارق) ، ويندفع نحو (نور) بدوره :

- إنه (نور) بالفعل ..

بدت دهشة عارمة علـى وجـوه الجميـع ، وهـم يحدقون في زعيميهما ، اللذين راحا يصافحان (نور) و(طارق) في حرارة ، بعد أن أمرت (برجيت) بقتلهما منذ دقائق ..

وانخفضت فوهات المدافع الآلية كلها في حيرة ، و(آلان) يهتف :

ـ ولكن ماذا تفعل هنا يا (نور) ؟! ألـم تعد مـع رفاقك إلى زمنكم ؟!

تنهَّد (نور) ، وقال :

ـ لقد عدت إلى زمنكم مرة أخرى ، مع رفيقين آخرين ، (طارق) هذا ، وزميلنا الثالث ، الذي لقى مصرعه في الخارج .

اندفع (جولفيه) يقول في خشونة :

ـ إنه لم يمت .

تألَّقت عينا (نور) في لهفة ، في حيـن هتـف (طارق) :

ـ حقًا ؟!

أجابه (آلان) في حزم :

ـ هذا صحيـح .. رفيقكما لم يلق مصرعه .. لست

أدرى لماذا اهتم الألمان بحياته ، على غير عادتهم ، ولكنهـم نقلـوه إلـى المستشـفى بـأقصى سـرعة ، ويجرون له الآن جراحة عاجلة ، لإخراج الرصاصات من جسده .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد :

ـ ولقد أتى خصمكم لرؤيته بنفسه .

ردَّد (طارق) في تساؤل حذر :

ـ خصمنا ؟!

رفع (آلان) عينيه إليه ، قائلاً :

ـ نعم .. خصمكم اللدود .. الجنرال (فريدريش هولدشتاين) .. لقد عدتم من أجله .. أليس كذلك ؟!

تبادل (نور) و (طارق) نظرة متوترة ، قبل أن يقول الأوَّل في انفعال :

ـ (هولدشتاين) حضر بنفسه لرؤية (أكرم) ؟! هذا يعني أن الأمور تتطوَّر ، من سيئ إلى أسوأ .

قال (طارق) :

ـ إنـه لن يتعرَّفه حتمًـا ، فهو لم يـره من قبـل قط .

أجابه (نور) :

- هذا صحيح ، ولكن هناك عشرة أشياء على الأقل ، يمكن أن تعيد إليه ذاكرته ، مع وجود (أكرم) .. أية قطع من ثيابه أو أدواته ، تنتمى إلى عصرنا ، تكفى لإيقاظ كل الكامن فى أعماق (هولدشتاين) .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- وإذا ما استيقظ ذلك الوحش ، الكامن فى أعماق (هولدشتاين) ، فسيعنى هذا أن الجحيم قد فتح بابه فى وجوهنا .

وازداد انعقاد حاجبيه ، مع استطرادته الصارمة .

- أبشع أبوابه ..

* * *

سطع المصباح البدائى لآلة تصوير قديمة ، داخل حجرة المستشفى ، حيث يرقد (أكرم) فاقد الوعى ، وإلى جواره يقف الجنرال (هولدشتاين) ، الذى تألقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يقول :

- عظيم .. أريد أن تنشر هذه الصورة فى صحيفة الغد ، مع خبر يؤكد أننا قد ألقينا القبض على أحد قادة المقاومة ، وأننا فى سبيلنا لإعدامه .

أومأ الصحفى برأسه فى خضوع ، وقال :

- كما تأمر يا جنرال (هولدشتاين) .. سننشر الصورة فى صدر الصفحة الأولى ، و ..

قاطعه (هولدشتاين) فى صرامة :

- كلاً .. ليس فى الصفحة الأولى إننا لا ننشر تلك الأخبار قط فى الصفحة الأولى .. انشرها فى أية صفحة داخلية ، كما يحدث فى المعتاد .

بدا مزيج من الدهشة والاضطراب على وجه الرجل ، وهو يتساءل فى حيرة : ما دام الجنرال يولى هذا الأمر اهتمامه الشخصى هذه المرة ، فلماذا يرفض نشر الصورة فى الصفحة الأولى ؟!

لم يكن لديه جواب لتساؤله ، إلا أنه لم يحاول البحث عن الجواب ، وإنما أومأ برأسه مرة أخرى ، هاتفاً .

- كما تأمر يا جنرال .. كما تأمر .

وراح يلملم أغراضه فى سرعة وارتباك ، فأشار إليه (هولدشتاين) ، قائلاً فى لهجة جادة مخيفة :

- إياك أن تنسى ذكر اسم المستشفى وعنوانه ، فى معرض الحديث ، وليس بصورة واضحة .. هل تفهم ؟!

همهم الرجل ، وهو يغادر الحجرة فى خطوات سريعة مرتبكة ، وكأنما يفرّ من الجحيم ذاته :

- أفهم يا جنرال .. أفهم .

تركه الجنرال ينصرف ، ويغلق الباب خلفه ، ثم التفت إلى (كارل) ، قائلاً :

- الصورة ستدفعهم للخروج من جحورهم .

مطّ (كارل) شفتيه ، وقال :

- إنهم لن يجازفوا بمحاولة إنقاذه ، فى ظل هذه الظروف .. ربما لو خففنا الحراسة قليلاً ، أو ..

قاطعه (هولدشتاين) فى صرامة غاضبة :

- ماذا دهاك يا (كارل) ؟! هل أفسدت الجبهة السوفيتية ذكاءك أم ماذا ؟! لو أننا خففنا الحراسة حول ذلك الرجل ، لانتبه هؤلاء القوم إلى أننا نعدّ لهم فخًا ما .. كلا يا رجل .. سنضاعف الحراسة ، ونحيط المكان بكل وسائل وإجراءات الأمن الممكنة كالمعتاد .. هذا وحده سيقنعهم أن الأمور تسير على النسق الطبيعى .

سأله (كارل) فى شىء من الضيق :

- وهل تظنهم يهاجمون ، فى ظروف كهذه ؟!

تألقت عينا (هولدشتاين) ، وهو يقول :

- ظروف كهذه هى وحدها ، التى يمكن أن تدفعهم للهجوم ، ومحاولة تخليص رفيقهم هذا .

صمت (كارل) بضع لحظات ، ثم هزّ رأسه ، قائلاً :

- هذا لا يتفق مع طبيعة رجال المقاومة يا جنرال .. ربما يحاولون إنقاذ الرجل ، فى أثناء نقله إلى السجن ، أو حتى عند الشروع فى إعدامه ، أما هنا ، فى المستشفى ، ومع كل هذه الحراسة ، فلست أعتقد هذا .

أجابه الجنرال ، فى شىء من السخرية :

- هذا لأنك لا تعرفهم جيدًا يا (كارل) .

ارتفع حاجبا (كارل) فى دهشة ، وهو يقول مستنكرًا :

- أنا ؟! أنا لا أعرف رجال المقاومة الفرنسية يا جنرال ؟!

قال الجنرال فى صرامة :

- لست أقصد رجال المقاومة يا رجل .. إنما أقصد رفاق هذا الرجل .. نفس الذين واجهتهم من قبل ، والذين تسببوا فى نقلك إلى الجبهة السوفيتية .

انتفض جسد (كارل) فى عنف ، وارتد إلى الخلف ، كمن أصابته صاعقة ، وهو يقول :

ـ من ؟!

ثم التقى حاجباه فى شراسة ، مع استطرادته العصبية :

ـ ألم ننته من أمرهم يا جنرال ؟!

هزّ (هولدشتاين) رأسه فى بطء ، وقال :

ـ ليس إلى الأبد يا (كارل) .. لقد تصوّرنا أننا قد فعلنا .

ثم تألّقت عيناه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ ولكنهم عادوا .

هتف (كارل) :

ـ لماذا ؟! لماذا عادوا ؟!

أشار إليه (هولدشتاين) بيده ، قائلاً فى صرامة :

ـ خطأ يا (كارل) .. خطأ .. ليس المهم هو لماذا ، ولكن المهم هو كيف يا (كارل) ؟!

وتألّقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يقول :

ـ كيف عادوا إلى هنا ؟!

ارتجف جسد (كارل) ، مع ذلك البريق المخيف ،

الذى أطلّ من عينى (هولدشتاين) ، وهو يضيف بصوت رهيب ، بدا وكأنه ينبعث من أعمق أعماق الجحيم ، محمّلاً بكل شرور ومصائب الدنيا كلها :

ـ هذا هو السؤال ..

وخُيِّل لـ (كارل) أن ذلك البريق قد أشعل الحجرة كلها ..

بلا استثناء ..

★ ★ ★

كانت الليلة طويلة للغاية ، بالنسبة لـ (نور) و(طارق) ..

بل ربما أطول ليلة ، فى حياتهما كلها ..

فى البداية ، ولأكثر من ثلاث ساعات كاملة ، لم يغمض لأحدهما جفن ، وهما يسترجعان كل ما حدث ، ويفكّران فيما هو آت ..

لقد ألقت بهما مقاتلة الزمن فى أسوأ عصر ممكن ..

العصر الوحيد من عصور التاريخ ، الذى يكمن فيه عدو شيطانى خارق ، يمكنه إحالة كل لحظة يقضونها فيه إلى جحيم ..

جحيم حقيقى ..

كان (نور) يسترجع تفاصيل صراعهم السابق مع الدكتور (خالد رضوان) ، عبر عصور التاريخ ..

فى عهد الفراعنة ..

و(روما) العصور الوسطى ..

ورعاة الأبقار الأمريكيين ..

وأخيرًا فى (باريس) المحتلَة ..

صراع طويل ، رهيب ، مخيف ..

صراع انتهى ، عندئذ ، بانتصارهم ..

ولقد تصوّروا حينذاك ، أن المهمة قد انتهت ..

وأنهم قد سيطروا على الدكتور (خالد) ..

عبر العصور ..

وعبر الزمن ..

ولكن ها هى ذى الأحداث تثبت أنه ما من أمر يمكن حسمه للأبد ..

إلا بإرادة الله (سبحانه وتعالى) ..

ها هو ذا يواجه الشيطان مرة أخرى ..

وفى أعقد عصور التاريخ ..

وهو واثق من أنه سيسترجع ذاكرته ..

أو أنه قد استرجعها بالفعل ..

وجوده مع (أكرم) سيشعل الكثير والكثير فى عقله الباطن ..

وسيوقظ كل الذكريات الكامنة ..

كلها ..

وعندئذ ستنفتح أبواب الجحيم ..

كل أبواب الجحيم ..

وسيقاتل (هولدشتاين) بكل قوته ، وسلطته ، وشراسته ..

وبكل رغبته فى البقاء ..

سيقاتل ، لأنه يعلم أنهم يمتلكون حتمًا وسيلة للعودة ..

وسيلة تتيح له مواصلة رحلته الشيطانية عبر الزمن ، حتى يحقِّق أهدافه الرهيبة ..

ويواصل حلمه المخيف ..

حلم السيطرة على تاريخ العالم ..

على ماضيه ، وحاضره ..

ومستقبله ..

وفى نفس الوقت ، الذى سرت فيه تلك الأفكار ، فى عقل (نور) ، كانت هناك أفكار أخرى ، تدور فى أعماق (طارق) ..

أفكار تتعلق برحلته ..
ومهمتـه ..
وزمنـه ..
ومستقبله ..
كان يعلم أن مهمته خطيرة ..
بل بالغة الخطورة ..
وأن نسبة النجـاح فيهـا لا تتجـاوز ـ طبقًـا لأكـثر التقديرات تفاؤلاً ـ الواحد فى الألف ..
ولهذا كانت المهمة تحتاج إلى متطوِّع ..
إلى انتحارى ..
إلـى شـخص يدرك جيِّدًا أن مستقبل الأرض أكـثر أهميةً من مستقبله ..
من طموحه ..
من حياته نفسها ..
كان عقله يسترجع تفاصيل رحلته ..
والمفاجآت غير المتوقَّعة ..
والانطلاق عبر الزمن ..
و ..
وتهالك جفناه فوق عينيه ، من فرط الإرهاق والتعب ..

والعجيب أنه راح يقاوم النوم ..
دون أى مبرِّر منطقى ..
كان وكأنه يخشى النوم ..
يخشاه بكل ما يحمله إليه من ذكريـات ، وكوابيس ، ومخاوف ..
ولكن من يمكنه مقاومة النوم ؟!
لقد انهارت مقاومته فى النهاية ..
ونام ..
ومع النـوم ، انطلقت الذكريـات ، تعربد فـى عقلـه كالمعتاد ..
« أنـت تـدرك مـدى خطـورة رحلتـك ، وأنــه مـن المحتمل ألا تعود منها أبدًا .. »
« حياتى فداء للوطن يا سيِّدى .. »
« انطلق يا ولدى ، على بركة اللَّه .. »
« مستقبل الأرض بين يديك .. »
« مستقبل الأرض .. »
« المستقبل .. »
انتفض جسده فـى عنـف ، وعقلــه يـردِّد العبــارة الأخيرة ، واعتدل جالسًا فى حركة حادة ، وأدهشه أن

يجد الجميع مستيقظين ، حتى (نور) ، ومالت (برجيت) نحوه ، تسأله فى حنان أدهشه :

- ماذا بك ؟! أهو كابوس ؟!

حدّق فى وجهها بشىء من الدهشة ، وكأنه يراها لأوّل مرة ، قبل أن يداعب مؤخرة عنقه بأصابعه ، قائلاً :

- تقريبًا .

ثم نهض ، مستطردًا فى إرهاق :

- إننى لم أشعر بأننى قد نمت ما يكفى من الوقت .

ابتسمت ، وهى تمدّ يدها لتداعب خصلات شعره ، قائلة :

- كلنا كذلك .. لقد كان الأمس مرهقًا للغاية .

حدّق طويلاً فى عينيها الزرقاوين ، وشعر بقلبه يخفق لأوّل مرة ، فانعقد حاجباها فى شدة ، وهو ينهض ، مغمغمًا :

- بالتأكيد .

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

- (أكرم) فى المستشفى بالفعل .

هتف (طارق) فى لهفة :

- هل نجا ؟!

ناوله (نور) نسخة من جريدة الصباح ، وهو يشير إلى الصورة ، قائلاً :

- انظر .

قرأ (طارق) الخبر فى اهتمام شديد ، ثم أشار إلى صورة (هولدشتاين) ، قائلاً :

- أهذا هو ؟!

- أومأ (نور) برأسه ، مجيبًا فى اقتضاب :

- أجل .

ثم التفت إلى الباقين ، متابعًا :

- وجوده هنا يعنى أنه قد استعاد ذاكرته ، وإلا فما الذى يدفع مدير مخابرات (أوروبا) إلى القدوم بنفسه ، لرؤية شخص أطلق عليه جنوده النار ؟! بل ما الذى يدفعهم إلى الإبقاء عليه ؟!

غمغم أحد رجال المقاومة فى توتر :

- استجوابه .

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى حزم :

- وهل يستدعى هذا قدوم مدير المخابرات شخصيًا ؟!

ران الصمت بضع لحظات ، قبل أن يقول (آلان) :



قرأ (طارق) الخبر فى اهتمام شديد ، ثم أشار إلى صورة (هولدشتاين) ، قائلاً : ــ أهذا هو ؟! . .

ــ أراهن على أن نشر الخبر جزء من فخ كبير ، أعدّوه لنا ، إذا ما حاولنا السعى لإنقاذ رفيقكما .

أجابه (طارق) فى هدوء :

ــ ليس لدى أدنى شكّ فى هذا .

أضاف (نور) فى سرعة :

ــ ولكننا لن نتخلّى عن (أكرم) .

تبادل رجال المقاومة نظرة متوترة ، قبل أن يقول (آلان) فى حزم :

ــ يؤسفنى أن أقول هذا يا (نور) ، ولكننا لن نتعاون معكم فى هذا الشأن .

أجاب (نور) :

ــ خطأ يا (آلان) .. لا بد أن نتعاون جميعًا ؛ لمواجهة (هولدشتاين) .

قال أحد رجال المقاومة فى حدة :

ــ كلاّ يا رجل المستقبل .. إنها قضيتكما وليست قضيتنا .. إننا نعلم أن (هولدشتاين) قد أعدّ لنا فخًا ، ولن نلقى أنفسنا فيه بهذه البساطة .

قال (طارق) بنفس الهدوء :

ــ ستكون هناك خطة بالتأكيد .

قال رجل آخر فى سرعة :
- وستكون لديهم خطة أيضًا .. ومع الخطة ستكون هناك قوات ، وسلطات ، وحصار ، وأمور أخرى كثيرة ، لا يمكننا أن نصمد أمامها .
واندفع ثالث يقول :
- ثم إن هذا ليس أسلوبنا .. إننا نعتمد على الضربات الخاطفة المفاجئة ، التى لا يتوقعها العدو ، الذى يجاهد منذ بدء المقاومة ، لمواجهتنا فى بقعة يختارها هو ، وزمن يستعد فيه لنا ، ولن نمنحهم هذه الفرصة الآن ، لمجرَّد أن ننقذ رفيقكم .. إننا لم ندعوكم لتترك زمانكم من أجلنا ، لن نضحى بأنفسنا من أجلكم .
التفت إليه (طارق) ، قائلاً فى صرامة :
- إنك لا تضحى بنفسك من أجلنا ، ولكن من أجل (فرنسا) .. من أجل العالم الحر كله .
ثم تحرَّك وسطهم ، وهو يتابع فى حزم :
- التاريخ يقول : إنكم ستنتصرون فى معركتكم ، وأن (فرنسا) ستستعيد حريتها وكيانها ، وسيندحر العدو الألمانى ، وتذهب ريحه إلى الأبد ، ولكن هذا ينطبق على التاريخ .. التاريخ الذى درسناه فى

عصرنا ، وليس التاريخ الذى يصنع نفسه الآن ، فى عصركم ، فلو أن (هولدشتاين) هذا قد استعاد وعيه وذاكرته بالفعل ، فسيعنى هذا أنه مثلنا ، يحفظ التاريخ عن ظهر قلب ، ويعلم جيدًا لماذا انهار الرايخ الثالث ، وكيف استعاد الحلفاء (أوروبا) .. بل وكيف انتهت الحرب أيضًا ، ومعرفته هذه تتيح له أن يتفادى كل مواطن الضعف ، وكل أسباب الهزيمة .. هل تعلمون ما الذى يعنيه هذا ؟!
وتوقَّف ليكمل فى صرامة :
- يعنى أن (ألمانيا) ستنتصر ، وستواصل سحقها لكل صور الحرية والكرامة ، وأن العالم سيتحوَّل كله إلى مستعمرة ألمانية يابانية ، لا يرتفع فيها رأس واحد .
وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :
- إنكم تقاتلون من أجل مستقبلكم ، وليس من أجلنا .. تقاتلون من أجل (فرنسا) .
قالها ، واستدار متجهًا إلى (برجيت) ، وسط صمت رهيب ، ساد المكان كله ، حتى قطعه هو ، وهو يسألها فى هدوء عجيب :

- هل يمكننى تناول قدح من الشاى ؟!

- لم يكد ينطق سؤاله ، حتى سرت همهمة قوية فى المكان ، وكأن الجميع يناقشون الجميع فيما سمعوه منه ، فابتسم (نور) ، وربت على كتفيه ، قائلاً :

- أعتقد أن (أدولف هتلر) نفسه سيغار منك(*) ، لو استمع إلى هذه الخطبة يا صديقى .

تمتم (طارق) :

- أتعشّم أن يموت كمدًا .

ضحكت (برجيت) ، قائلة :

- هذا ما نتمناه جميعًا .

ثم مدّت يدها إلى (طارق) ، مستطردة :

(*) (أدولف هتلر : ١٨٨٩ - ١٩٤٥م) : ديكتاتور ألمانى (١٩٣٣ - ١٩٤٥م) ، وزعيم الحزب النازى ، ومؤسس الرايخ الثالث ، اشترك فى الحرب العالمية الأولى ، وبعدها نظم حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى (النازى) ، الذى انضم إليه الكثيرون ، نتيجة الأزمة المالية ، فى ١٩٢٩ م ، فأيده كبار رجال الصناعة ، حتى عيّنه (هندنبورج) رئيسًا للوزراء فى يناير ١٩٣٣ . ثم أصبح رئيسًا للجمهورية فى ١٩٣٤م ، ولقد أدت سياسته إلى قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) ، التى انتهت بهزيمة (ألمانيا) وانتحاره .

- وبالمناسبة .. لقد أقنعتنى خطبتك ، وسأنضم إليكما ، فى محاولة إنقاذ زميلكما .

هتف (طارق) :

- حقًا ؟!

- ثم تراجع فى سرعة ، مغمغمًا :

- هذا يقوّى مركزنا بالتأكيد .

هتف به (آلان) ، فى تلك اللحظة :

- الأمر ليس بهذه البساطة .

التفت إليه (نور) و (طارق) ، فاتجه نحوهما فى بطء ، ونقل بصره بينهما وبين (برجيت) ، قبل أن يتطلّع إلى عيونهما مباشرة ، قائلاً فى صرامة :

- الرجال اتفقوا على قرار واحد .

ثم انعقد حاجباه فى حدة ، وهو يضيف :

- إننا لن نشترك معكما فى هذه المحاولة .. لن نشترك أبدًا .

وكانت مفاجأة ..

عنيفة .

★ ★ ★

٦ - القتـــــال ..

ربّت (رمزى) على كتف (سلوى) فى رفق ، وهى تجلس أمام جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وقد تهالك رأسها على صدرها ، فى نعاس مضطرب ، وهمس فى تعاطف :

- (سلوى) .. لماذا لا تعودين إلى منزلك ؟!

انتفض جسدها فى عنف ، وكأنها تستيقظ من كابوس بشع ، وهتفت وهى تعتدل على مقعدها :

- لا .. لا .. مازال أمامى الكثير لأنجزه .

قال مشفقًا :

- لقد بلغ منك التعب مبلغه ، ولن يمكنك الاستمرار هكذا ..

فركت كفيها فى قوة ، وأسرعت تضرب أزرار الكمبيوتر بأصابعها ، قائلة فى توتر :

- لا .. لا يمكننى أن أتوقّف الآن .. لقد كدت أخترق الملفات المتبقية .

قال فى هدوء :

- هذا يمكن أن يتمّ غدًا .

صاحت فى عصبية :

- غدًا ؟! ومن يدرى ما الذى يمكن حدوثه ، من اليوم وحتى الغد .. ألا تدرك ما يواجهونه هناك من خطر .

ربّت على كتفها مرة أخرى ، وهو يقول :

- هناك هذا يعنى ما يزيد عن ستين عامًا مضت يا (سلوى) .

تجمّدت أصابعها لحظة ، قبل أن يرتجف صوتها ، وهى تغمغم :

- ستـ .. ستون عامًا .

ثم تفجّرت دموعها فى انفعال ، وهى تهتف :

- هل تعنى أنه لم يعد بيدنا ما نفعله ؟!

أجاب فى سرعة :

- مطلقًا ..

ثم مال نحوها ، متابعًا فى تعاطف :

- إنما أعنى أن لدينا الزمن كله لنجد الحل ، وعندما نتوصّل إليه ، يمكننا أن نمد لهم يد المساعدة ، فى أى زمن كانوا .

انهمرت دموعها أكثر ، وهى تقول :

- لا يمكننى أبدًا تقبُّل هذا الأمر يا (رمزى) .. إننا هنا ، وهم هناك وليس بيدنا ما نفعله .

تنهَّد ، قائلاً :

- كل ما علينا أن نحاول .

ثم استطرد فى اهتمام ، محاولاً بث بعض الأمل فى نفسها :

- الدكتور (ناظم) يقول : إنهم قد بدءوا بالفعل ، فى دراسة مشروع إنتاج آلة زمن مصرية .

تنهَّدت فى مرارة ، قائلة :

- ستمضى سنوات عشر على الأقل ، قبل أن ينجحوا فى صنعها .

قال فى حماس مصطنع :

- وماذا فى هذا ؟! حتى لو ابتكروها بعد عشرين عامًا .. المهم أننا نستطيع عندئذ العودة ؛ لإنقاذ (نور) و (أكرم) ، و (طارق) .. بل وربما عدنا إلى اللحظة ، التى بدأت فيها رحلتهم عَبْر الزمن ، وأمكننا منع انطلاق المقاتلة .

عضَّت شفتيها فى مرارة ، قائلة :

- وسيعنى هذا أن أقضى السنوات العشر القادمة على الأقل ، بدون (نور) .

ارتج عليه ، أمام هذا الرد المفحم ، فتراجع فى بطء ، وانعقد حاجباه فى توتر ، فتابعت فى مرارة أكثر :

- وعندما يعود إلىَّ ، أكون أكبر مما أنا عليه الآن بعشر سنوات .

ثم التفتت إليه ، مستطردة بعينين دامعتين :

- أهذا هو النجاح الذى تعنيه ؟!

لم يجد ما يجيب به سؤالها ، فربَّت على كتفها مرة أخرى ، متمتمًا :

- مازلت تحتاجين إلى بعض النوم .

أومأت برأسها متفهِّمة ، وغمغمت :

- سأنتهى من مراجعة هذا الملف ، وأذهب للنوم .. أنت على حق .. لا يمكن لأحد أن يقاوم النعاس .

جلس على مقعد مجاور لها ، يراقب عملها فى شىء من الإرهاق ، ثم لم يلبث أن قال فى ضيق :

- هل تعلمين ؟! أنا أيضًا أعمل طوال الوقت ، وأراجع كل الملفَّات ، فى محاولة لفهم ما يخفيه (طارق) .

غمغمت :

ـ إنه يخفى الكثير حتمًا .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال .

ـ ولكنه بارع للغاية فى إخفائه .. إنه أول شخص ينجح فى خداع تحليلاتى النفسية ، على هذا النحو .

قالت ، وهى تواصل عملها :

ـ ربما إنه لم يفعل .

رفع عينيه إليها فى دهشة ، قائلا :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابته ، دون أن تلتفت إليه :

ـ أعنى أنه من المحتمل أنك لم تكشف كذبه ؛ لأنه لم يحاول خداعك فى الواقع .. ربما كان يؤمن تمامًا بكل ما نطق به .

اعتدل (رمزى) فى مجلسه ، وقال فى اهتمام :

ـ هل تعنين أنهم غرسوا قصة ما فى رأسه ، بحيث يتصوَّر هو نفسه أنها حقيقة .

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ هذا محتمل .

تقارب حاجباه ، وهو يدير الفكرة فى رأسه ، قبل أن يهتف فى حماس :

ـ إنه ليس محتملاً فحسب ، ولكنه يفسِّر كل شىء أيضًا .

وهبَّ من مقعده ، ليواصل فى انفعال :

ـ يمكننا أن نعيد رسم الصورة من جديد .. لقد انطلق (طارق) بمقاتلته ، وهو يتصوَّر بالفعل أنه يمضى فى مهمة تجريبية فحسب ، ولكن رؤساءه لم يكونوا يهدف إلى هذا ، وإنما كان غرضهم الحقيقى هو إرساله فى مهمة عبر الزمن .. مهمة قد تمكنهم من كشف غموض ثقوب الزمن .. لقد خدعوه ، لأنهم يعلمون أن أحدًا لن يقبل هذه المهمة تطوعًا ، وهو يعلم أنه من المحتمل أن يضيع إلى الأبد ، فى مجرى الزمن .. هذا يفسِّر كل البرامج والخرائط ، التى عثرنا عليها ، فى سجلات المقاتلة ، ويفسِّر تصديقى لقصته ، و ...

قاطعته بهتاف مباغت :

ـ رباه !

التفت إليها فى دهشة ، وسألها :

ـ ماذا هناك ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، مجيبة فى انفعال :

- انظر .. لقد نجحت على الفور ، فى اختراق الملف الخاص بالتفاعلات الكيماوية وعمليات الإحلال والتجديد للمقاتلة .. هل ترى معدلات استهلاك الأكسجين والطاقة هنا ، ومعادلات التوازن الخلوى ، و ...

قاطعها فى لهفة :

- وما الذى يعنيه كل هذا ؟!

استدارت إليه ، والتقى حاجباها فى شدة ، وهى تجيب :

- يعنى أن هناك نقطة واحدة على الأقل ، كان (طارق) يدرك فيها جيدًا أنه كاذب .

سألها ، وقد تضاعفت لهفته :

- أية نقطة ؟!

ازداد التقاء حاجبيها ، وهى تجيب فى حزم واثق :

- إنه ، عندما خاض كل هذا ، وعندما انطلقت به المقاتلة ، وحتى عندما بلغت عصرنا ، لم يكن وحده .

تراجع (رمزى) كالمصعوق ، وهى تكمل :

- لقد كان هناك فارس آخر .. فارس من فرسان الزمن .

* * *

ارتجف جفنا (أكرم) ، وهو يستعيد وعيه ، داخل ذلك المستشفى الباريسى الصغير ، وشعر بآلام خيوط الجراحة ، فتأوه مغمغمًا بالعربية :

- اللعنة ! هذه الرصاصة تؤلم بحق .

أتاه صوت صارم ، يقول بالألمانية :

- ربما كان هذا أقل ألم يمكن أن تواجهه هنا .

فتح (أكرم) عينيه فى بطء ، وحدّق فى الوجه المطلّ عليه ، والذى تابع صاحبه فى صرامة :

- أعتقد أن لديك الكثير لتخبرنا به .

سأله (أكرم) فى حدة :

- من أنت يا رجل ؟!

أتاه صوت صارم آخر ، من نهاية الحجرة ، يقول :

- تهذّب يا رجل .. إنك تتحدث إلى الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، مدير مخابرات (أوروبا) النازية .

التفت (أكرم) إلى (كارل) ، وقال بالعربية :

- اذهب أنت وجنرالك إلى الجحيم .

انعقد حاجبا (كارل) ، وهو يقول فى عصبية :

- أية لغة تستخدم يا رجل ؟! التركية أم الإيرانية ؟!

من أنت بالضبط يا هذا ؟! وإلى أية جهة تنتمى ؟!
و ....

قاطعه (هولدشتاين) بإشارة من يده ، وقال لـ (أكرم) بالعربية :

- يبدو أنك الوحيد هنا ، الذى سيذهب إلى الجحيم .

اتسعت عينا (أكرم) و(كارل) فى دهشة بالغة ، وهتف الأخير مبهورًا :

- يا إلهى ! إنك تتحدَّث لغته يا جنرال .

رفع (هولدشتاين) عينيه إليه فى صرامة ، وقال :

- اتركنا وحدنا يا (كارل) .

هتف (كارل) ، فى دهشة واستنكار :

- ماذا ؟!

صاح به (هولدشتاين) فى صرامة :

- قلت لك : اتركنا وحدنا .

احتقن وجه (كارل) ، وهو يشدّ قامته ، قائلاً :

- كما تأمر يا جنرال .

قالها ، واندفع يغادر الحجرة فى عصبية ، ولم يكد يغلق بابها خلفه ، حتى هتف (أكرم) .

- إنك تتحدَّث العربية .

أجابه (هولدشتاين) فى صرامة :

- هذا أمر طبيعى .

ثم مال نحوه ، وتطلع إليه بعينين تطلّ منهما صرامة الدنيا كلها ، وهو يسأله :

- أين (نور) ؟!

وعلى الرغم منه ، وجد (أكرم) صوته يرتجف ، وهو يقول :

- (نور) ؟!

ثم تمالك نفسه فى سرعة ، مستدركًا :

- لم أسمع بهذا الاسم قط .

ارتسمت ابتسامة وحشية ساخرة ، على شفتى (هولدشتاين) ، وهو يقول :

- محاولة طريفة ، ولكنها غير مجدية يا رجل .. إنك لست بالذكاء الكافى لتقوم بها .. إنك لم تستطع حتى إخفاء هويتك طويلاً .. كان ينبغى أن تواصل التحدُّث بالفرنسية على الأقل .

صمت (أكرم) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية :

- ولماذا أفعل ؟! إننى لست فرنسيًّا ، بل مصرى ،

وحسبما أعلم ، فـ (مصر) لم تعلن الحرب على (ألمانيا) إلا فى الـ ... أعنى أنها لم تعلن الحرب عليها أبدًا(*) .

أطلق (هولدشتاين) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ حتى هذه المحاولة لم تكن ناجحة يا رجل .. صحيح أن (مصر) لم تعلن الحرب على (ألمانيا) ، حتى هذه اللحظة ، ولكنها مازالت تحت سيطرة الإنجليز .. العدو اللدود للرايخ الثالث .

قالها ، واعتدل ، مضيفًا فى صرامة :

ـ ثم إننى أعرف جيدًا من أنت .

قال (أكرم) بالألمانية فى سخرية :

ـ حقًا ؟!

تجاهل (هولدشتاين) سخريته ، وهو يتابع بنفس الصرامة :

ـ اسمك (أكرم) .. عضو جديد فى فريق (نور الدين محمود) ، ضابط المخابرات العلمية المصرى ..

(*) أعلنت (مصر) الحرب على (ألمانيا) ، فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، بعد أن أعلن الحلفاء أن الدول التى لن تفعل ، ستحرم من الانضمام إلى كل المنظمات والمحافل الدولية ، فى عالم ما بعد الحرب .

زوجتك (مشيرة) هى مديرة شبكة (أنباء الفيديو) الإخبارية ، فى القرن الحادى والعشرين .. همجى .. عصبى المزاج .. تعشق الأسلحة التقليدية ، وبالذات المسدسات من طراز (سميث رويسون) ..

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـ هل يكفيك هذا ، أم تحتاج إلى المزيد ؟!

حدَّق (أكرم) فى وجهه ذاهلا ، وغمغم مبهورًا :

ـ من أنت يا رجل ؟!

شدّ (هولدشتاين) قامته ، وهو يجيب :

ـ كما سمعت من ذلك الغبى (كارل مانهايم) .. أنا الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، مدير مخابرات (أوروبا) كلها ، والرجل الثالث فى الرايخ ، بعد (هتلر) و (هملر) .. هذا فقط ما ينبغى أن تعرفه .

ثم عاد يميل نحوه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ ما لم يكن لديك المزيد .

حدَّق (أكرم) فى وجهه مرة أخرى بذهول ، فعاد يعتدل ، ويسأله بلهجة مخيفة :

ـ أين (نور) والآخرون ؟!

انتزع (أكرم) نفسه من ذهوله ، وهو يقول :

ـ أى آخرين ؟! إننى ..

هوى الرجل على وجهه فجـأة بلكمـة قويـة ، ارتـجَ لهـا كيانـه كلـه ، فهتـف فـى غضـب ، وهـو يحـاول النهوض من فراشه :

ـ أيها الـ ...

قاطعه الجنرال بلكمة أخرى أكثر قوة ، وهو يصرخ :

ـ أين (نور) ورفاقه ؟! أين ؟!

هتف (أكرم) فى حدة ، وهـو يمسح خيط الدم ، الذى سال من ركن شفتيه :

ـ حتى لو كنـت أعلـم أين (نـور) ، فـإننى أفضّل الموت على إخبارك .

تألّقت عينا (هولدشتاين) ، وهو يقول :

ـ آه .. هذا اعتراف بأنك أتيت إلى هنا بصحبته .

عضّ (أكرم) شفتيه فى غيـظ ، وتمنـى لـو يُقطـع لسانه ، حتى لا يسقط مـرة أخرى ، فى حيـن اعتـدل (هولدشتاين) ، مستطردًا :

ـ ألم أقل لك : إنك لست ذكيًّا ؟!

ثم جذبه من قميصه فجأة ، مضيفًا فى غضب :

ـ ولتعلم أننى سأحصل منك على كل معلومة تخفيها ، حتى ولو اضطررت لاعتصار كل خلية فى جسدك .

ركله (أكرم) فى معدته فجأة ، هاتفًا :

ـ هذا لو استطعت .

تراجع (هولدشتاين) فى عنف من الركلـة ، وهـو يتـأوّه بصوت مكتوم ، فهبّ (أكرم) مـن فراشـه ، على الرغم من إصاباته ، وانقضّ عليه ، مستطردًا :

ـ ستدرك الآن كيف يقاتل الهمجى .

قالها ، وهوى على فك (هولدشتاين) بلكمة كالقنبلة ، ولكن الأخير استقبلها على ساعده فـى مهـارة ، وهـو يلكم (أكرم) لكمة ساحقة ، هاتفًا :

ـ يقاتل كالهمجى بالطبع .

ثم أمسك كتفيه بحركة سريعة ، ودار حول نفسه ، لينتزعـه مـن الأرض ، ويضـرب بـه الجـدار المقـابل مستطردًا :

ـ وهذا النوع من القتـال ، لا يرقـى قط لمستوى المحترفين .

ارتطم (أكرم) بالجدار فى عنف ، ثم سقط أرضًا ، وهـو يشـعر بـآلام رهيبـة ، وخيـوط جرحـه تتمـزّق ، والدم يندفع من بينها فى قوة ..

ولكن (هولدشتاين) لم يرحمه ..

لقد ركله فى معدته بكل قوته ، متابعًا :

ـ الذين يجيدون القتال الحقيقى .

تفجرت الدماء من بين شفتى (أكرم) ، فتراجع (هولدشتاين) فى حزم ، وعدل هندامه ، قائلاً :

ـ ولتعلم أنك لن تصمد ، أمام أساليبنا الفريدة .. لن يمكنك أن تصمد أبدًا .

قالها ، وصرخ :

ـ (كارل) .

اندفع (كارل) إلى الحجرة ، وكأنما كان ينتظر النداء ، ونقل بصره فى دهشة ، بين (هولدشتاين) و (أكرم) ، فأشار الأول إلى الأخير ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنه لك .

قالها ، وغادر الحجرة فى خطوات واسعة سريعة ، تاركًا (كارل) خلفه ، وعيناه تتألقان ببريق وحشى .. بريق رجل ينتشى لمرأى الدم ..

رجل يحمل لقبًا فريدًا فى مهنته ..

لقب (الجزار) ..

★ ★ ★



قالها ، وهوى على فك (هولدشتاين) بلكمة كالقنبلة ، ولكن الأخير استقبلها على ساعده فى مهارة ، وهو يلكم (أكرم) لكمة ساحقة ..

« ها هو ذا يغادر المستشفى .. »

غمغم (نور) بالعبارة ، وهو يختفى فى أحد الأركان ، عبْر الشارع ، فتابع (طارق) (هولدشتاين) ببصره ، وهو يقول :

- رجل صارم ، قاس ، عنيد ، قوى الشخصية ، يميل إلى السطوة والسيطرة .

سأله (نور) ، دون أن يلتفت إليه :

- كيف عرفت ؟!

أجابه (طارق) فى ثقة :

- أسلوب سيره يشفّ عن هذا .

صمت (نور) لحظة ، وهو يتابع انطلاق سيارة (هولدشتاين) ، مع طاقمى الأمن أمامها وخلفها ، ثم التفت إليه ، قائلاً فى صرامة :

- من الواضح أن لديك خبرة مدهشة ، فى التحليل النفسى .

أجابه (طارق) فى هدوء :

- سبق أن أخبرتكم أنها هوايتى الأولى .

تطلّع (نور) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

- هواية ، أم أنه نوع من التدريب المتطوّر ، الذى تتلقونه فى ...

صمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم صارم :

- فى المستقبل .

ارتجف جفنا (طارق) ، على الرغم من الملامح الجامدة ، التى استقبل بها عبارة (نور) ..

ولم تفت تلك الارتجافة (نور) ، و (طارق) يقول :

- ما الذى أوحى لك بهذه الفكرة الـ ..

قاطعه (نور) :

- أعترف بأنك قد خدعتنى فى البداية ، ولكن الإنسان لا يمكنه أن يواصل الخداع إلى الأبد .. لقد كشفت نفسك بنفسك ، عندما وصلنا إلى هذا العصر .

قال (طارق) فى بطء ، دون أن يرفع عينيه عن عينى (نور) :

- حقًا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- نعم .. حقًا يا (طارق) .. فمنذ اللحظة الأولى تعرّفت ريف (باريس) ، ثم كان لديك جهاز خاص ، يمكنه زرع فرنسية وألمانية القرن العشرين ، فى عقل (أكرم) ، على الرغم أنه من المفترض

أنك أت من ماض سحيق ، لم يمر بتلك اللغات قط ، ولا يعرف تاريخ هذه الحقبة ، الذى تحدَّثت عنه باستيعاب تام ، مع رجال المقاومة أمس .

صمت (طارق) تمامًا ، لما يقرب من نصف الدقيقة ، قبل أن يقول فى بطء :

- استنتاج أنيق يا (نور) .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يضيف فى حزم :

- ولكنه غير صحيح .

جاء دور (نور) ، ليقول فى استنكار :

- حقًا ؟!

اندفع (طارق) يقول :

- بالطبع أيها القائد .. ماذا كنت تتصوَّرنى أفعل ، خلال السنوات التى قضيتها فى عصرك ؟! هل تعتقد أننى اكتفيت بالعمل فحسب ؟! ألم تضع فى اعتبارك أننى نهم للمعرفة ؟! لقد قرأت عشرات الكتب ، عن الحرب العالمية الثانية ، وشاهدت أفلامًا تسجيلية عديدة عنها .. بل وزرت ريف (فرنسا) بنفسى مرتين على الأقل .. أما بالنسبة لجهاز زرع اللغات ،

فهو من تطويرى شخصيًا .. لقد كنت أعلم أننى سأغادر عصركم ، إن عاجلاً أو آجلاً ، ولما كنت أجهل إلى أى زمن يمكن أن أذهب ، فقد غذَّيت أجهزتى بكل ما أمكننى الحصول عليه ، من لغات ولهجات ، لأى عصر ممكن .

كان التفسير منطقيًا ، حتى إن (نور) قد شعر بارتجاجة قوية فى أعماقه ..

لا يمكن أن يكون قد أخطأ الاستنتاج إلى هذا الحد ..

لا يمكن ..

هناك شىء ما حتمًا ، لم يذكره (طارق) ..

شىء ما ، يدركه هو فى أعماقه ..

شىء جعل هذا الاستنتاج يبدو منطقيًا ..

ولكن ما هذا الشىء ؟!

ما هو ؟!

« أظننى أنتظر اعتذارًا .. »

قطع (طارق) سيل أفكاره بقوله هذا ، وهو يبتسم ابتسامة هادئة ودود ، فانتفض جسد (نور) انتفاضة خفيفة ، وهو يغمغم :

- ربما .

اتسعت ابتسامة (طارق) ، وهو يقول :

ـ لا بأس .. سأكتفى بهذا .

ثم أشار إلى المستشفى ، مستطردًا :

ـ دعنا نعُد إلى مشكلة (أكرم) .

كانت وسيلة بارْعة ، لتجاوز الأمر ، فالتقطها (نور) بنفس البراعة ، وهو يقول :

ـ إنها مشكلة عويصة بحق ، وخاصة بعد أن رفض رجال المقاومة التعاون معنا .

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إنهم معذورون يا (نور) ، فقصتنا يصعب تصديقها ، ونحن نطالبهم بمخاطرة ، قد تؤدى إلى كشف أمرهم ، وجذب الألمان إلى أوكارهم ، داخل أنفاق المترو ، التى لا يعلم سرها سواهم ، حتى هذه اللحظة ، طبقًا لما أخبرنا به التاريخ .

قال (نور) فى ضيق :

ـ أعرف هذا ، ويمكننى تقدير موقفهم جيدًا ، ولكن (أكرم) مازال فى قبضة (هولدشتاين) ، وسيحاول استغلال هذا إلى أقصى حد ، حتى يوقع بنا .

قال (طارق) فى اهتمام :

ـ بك وحدك يا (نور) .

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ يعنى أنه لو ربط (هولدشتاين) هذا ، بين (أكرم) وبينك ، فسيتصوَّر على الفور أن الفريق كله هنا لسبب ما ، لأن احتمال وجودنا بالمصادفة ، فى نفس العصر ، الذى تقاتلتم فيه معه ، يكاد يبلغ حد المستحيل ... باختصار ، ستتركَّز جهوده على البحث عنك ، وعن باقى أفراد الفريق .

ثم أشار إلى صدره ، مستطردًا :

ـ ولكن ليس عنى :

بُهتَ (نور) للعبارة الأخيرة ، وقال فى حذر :

ـ ماذا تعنى يا (طارق) ؟!

تنهَّد (طارق) ، وشدَّ قامته فى قوة ، وهو يقول :

ـ أعنى أننى الشخص الوحيد ، الذى لديه فرصة للاقتراب من (أكرم) .

هتف (نور) :

ـ كيف ؟!

ابتسم ، مجيبًا :

- بالوسيلة التقليدية يا (نور) .. ألم تشاهد أية أفلام ، عن الحرب العالمية الثانية ؟! سأنتحل شخصية ضابط ألمانى بالطبع .

ظلَّ (نور) يحدِّق فى وجهه لحظة ، ثم هزَّ رأسه ، قائلاً :

- مستحيل يا (طارق) ! هذا أول أمر سيخطر ببالهم ، ومن المؤكد أنهم سيتخذون كل الاحتياطات الممكنة لكشف هذا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى تفكير عميق ، قبل أن تتألَّق عيناه على نحو عجيب ، وهو يقول :

- ولكننا نستطيع إحباط كل احتياطاتهم .

ابتسم (طارق) ، قائلاً :

- بالضبط .

وعندما التقت عيونهما ، التقت معها أفكارهما ، وقفزت إلى الوجود خطة جديدة ..

وجريئة ..

إلى أقصى حد .

* * *

٧ - الشر عَبْر العصور ..

ارتسم التوتر واللهفة بكل ملامحهما ، على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يندفع داخل مقر الفريق ، هاتفًا :

- أحقًّا ما سمعته يا (سلوى) ؟!

فركت (سلوى) كفيها فى إرهاق ، وهى تجيب :

- لو أنك تقصد تقريرى العاجل ، الخاص بوجود فارس زمن آخر ، فالرد بالإيجاب يا دكتور (ناظم) .

احتقن وجه الرجل فى شدة ، وترك جسده يتهاوى ، على أقرب مقعد إليه ، وهو يقول :

- يا إلهى ! إنها كارثة .

ثم سألها فى هلع :

- هل يمكنك تعرُّف ذلك الآخر ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، قائلة :

- ليس فى الوقت الحالى ، فلا توجد أية معلومات خاصة بالطاقم ، فى كل سجلات المقاتلة .

قال فى ارتياع :

- لكنك واثقة من وجوده .. أليس كذلك ؟!

أشارت بسبَّابتها ، قائلة :

- بكل تأكيد ، ما لم يكن معدَّل استهلاك (طارق) للأكسجين والغذاء ، يبلغ ضعف مايستهلكه أى بشرى عادى .

التقط عبارتها ، وهتف فى لهفة :

- أتعنين أن هذا احتمال وارد ؟!

التفتت إليه فى دهشة ، فى حين أجاب (رمزى) فى صرامة :

- كلاَّ يا دكتور (ناظم) .. إنه احتمال غير وارد على الإطلاق .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ذعر ، وكأنه كان يتمنَّى لو أن (رمزى) لم يعترض ، إلا أن هذا الأخير تابع بنفس الصرامة :

- لقد تم فحص (طارق) جيِّدًا ، بكل الوسائل الحديثة المعروفة ، وكلها أثبتت أنه بشرى عادى للغاية ، وهذا يعنى أن معدَّلات استهلاكه لا تختلف عن معدَّلات استهلاك الإنسان العادى .

تهالك الدكتور (ناظم) على مقعده مرى أخرى ، قائلاً :

- يا إلهى ! إنها كارثة حقيقية .. هناك جاسوس من زمن آخر ، يختفى فى مكان ما هنا ، ولسنا نملك أية معلومات عنه .

غمغمت (سلوى) :

- ربما الأمر ليس بهذه الخطورة .

هتفت الدكتور (ناظم) :

- بل هو كذلك .. لقد كشفنا أمر (طارق) بالمصادفة البحتة ، وبعد أن عمل لعدة سنوات فى مؤسسة الرياسة .. أكثر الأماكن السيادية خطورة ، والآن نكشف فجأة أن له رفيقًا ما ، فى مكان ما هنا ، ونحن نجهل تمامًا كل شىء حول ذلك الرفيق ، الذى من المحتمل أن يكون فى أى مكان .. فى وزارة ما ، أو جهاز أمنى ، أو حتى فى مؤسسة الرياسة نفسها .. بل ولا يمكننا استبعاد وجوده وسط جهاز المخابرات العلمية ذاته .

ثم نهض من مقعده ، وتابع فى توتر زائد :

- ولاحظوا أن (طارق) لم يشر لوجوده مطلقًا ،

وهذا يعنى أنه يحاول حمايته بشكل ما ، مما يؤكد خطورته ، أو خطورة الموقع الذى يحتله .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ يمكنك أن تبحث عنه فى وزارات السيادة(*) ، أو الجهات الأمنية ، ومراكز جمع وتقييم المعلومات .

قلب الدكتور (ناظم) كفيه ، قائلاً :

ـ نبحث عن مَن ؟! هل تعلم عدد العاملين ، فى الأماكن التى ذكرتها ؟! إنه يبلغ عدة آلاف ، بحيث لا يمكننا فحص ملفاتهم جميعًا ، بالدقة اللازمة لكشف الثغرات فيها ، خاصة وأنك تعلم كم بلغت براعة (طارق) ، فى إعداد الملف الخاص به .

أجابه (رمزى) :

ـ راجع ملفات الفحص النفسى السنوى أولاً ، وانتق من بينهم أولئك الذين يتميزون بقوة الشخصية ، والصبر ، وسرعة اتخاذ القرار ، ويمكنك استبعاد كل

(*) يطلق مصطلح وزارات السيادة ، على عدد محدود من الوزارات ، التى تؤثر فى مسار الدولة داخليًا أو خارجيًا ، والتى يختار رئيس الجمهورية وزراءها بنفسه ، فى معظم الأحيان ، مثل وزارة الدفاع ، والداخلية ، والخارجية ، والإعلام .

من يعانون الخوف من المرتفعات ، أو الأماكن المغلقة ، أو السرعة الزائدة ، ثم ابحث عن أكثرهم ميلاً للصمت والوحدة .

سأله الدكتور (ناظم) مبهورًا :

ـ ولماذا هؤلاء بالذات ؟!

أجابه (رمزى) فى حزم :

ـ لأن هذه هى الصفات ، التى تناسب من يخرج فى رحلة زمنية كهذه .

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، وهو يواصل التطلع إلى (رمزى) فى دهشة ، قبل أن يلوح بكفه ، قائلاً :

ـ عظيم .. هذا سيضيق دائرة البحث بالتأكيد ، ولكننا مازلنا نحتاج إلى معرفة بعض صفاته الجسمانية .. طوله .. حجمه .. أو ...

قاطعه صوت (نشوى) ، وهى تقول :

ـ يمكننى منحكم هذا .

التفت إليها (رمزى) ، قائلاً :

ـ (نشوى) .. هل استيقظت ؟!

ارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة مرهقة ، وهى تقول :

- ومن يمكنه النوم ، مع كل ما تصنعونه من ضجيج .

ثم أدارت عينيها إلى الدكتور (ناظم) ، مستطردة :

- لقد استمعت إلى كل ما ناقشتموه الآن ، وأعتقد أن لدى وسيلة لمعرفة الحجم التقريبى للرجل الثانى .

سألتها (سلوى) فى اهتمام :

- وما هى ؟!

جلست (نشوى) أمام الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تجيب :

- إننا نعرف معدلات الاستهلاك داخل المقاتلة ، ولدينا كل التحاليل والفحوص الخاصة بـ (طارق) .. كل ما علينا إذن هو أن نحسب المعدلات الطبيعية لاستهلاكه هو ، والجزء المتبقى سيكون عبارة عن معدلات استهلاك زميله للأكسجين والطاقة ، وبعملية عكسية ، يمكننا تقدير حجمه ، بشىء من الدقة .

تطلع إليها الدكتور (ناظم) بضع لحظات فى صمت ، ثم هزّ رأسه ، مغمغمًا :

- لاعجب فى أنكم تحققون كل هذه الانتصارات .. إنكم فريق من العباقرة .

تبادل الثلاثة نظرة متوترة ، ثم قالت (نشوى) :

- أرجو أن تساعدنا هذه العبقرية ، فى استعادة أبى و (أكرم) .

قال (رمزى) فى سرعة :

- و (طارق) .

التفت إليه الدكتور (ناظم) مستنكرًا ، فأضاف فى حزم :

- إنه مازال عضوًا فى الفريق .

وتنهّد ، قبل أن يستطرد :

- ثم إن وجوده ربما يصبح حتميًا ؛ للعثور على الفارس .

واكتسب صوته صرامة شديدة ، وهو يضيف :

- فارس الزمن الثانى .

* * *

عقد الجنرال (هولدشتاين) كفيه خلف ظهره ، وهو يطالع خريطة كبيرة لمدينة (باريس) ، وكل المناطق الريفية المحيطة بها ، مغمغمًا فى صرامة :

- إنهم هنا .. لقد عادوا لسبب ما ، لم تذكره كتب التاريخ ، التى قرأتها فى زمنى .. الفريق كله هنا

على الأرجح .. أو ربما (أكرم) وحده . كلاً .. هناك شخص ثالث ، أشار إليه تقرير الطيَّار ، الذى كاد يرتطم بمركبتهم الزمنية ، عند وصولهم إلى هذا العصر .

دار بعينيه فى تلك البقعة ، التى تم رصد المقاتلة فيها للمرة الأولى ، وهو يتابع :

ـ لقد حملتهم هذه المرة آلة زمن ، فى هيئة مقاتلة جويْة .. ذلك الطراز القديم لآلات الزمن .. ولكن أين هى ؟! أين أخفوها ؟! لابد أن أعثر عليها بأى ثمن .. إنها وسيلتى الوحيدة للعودة إلى زمنى ، بعد أن أسيطر على تاريخ هذه الحقبة ، وأقلب الأمور كلها رأسًا على عقب .. الوسيلة الوحيدة ، التى يمكننى بها تأمين وجودى عَبْر الزمن ، حتى أصبح السيِّد المطاع فى المستقبل .. بدونها تنهار كل أحلامى وطموحاتى .. لابد أن أعثر عليها .. لابد .

عاد يفحص الخريطة مرة أخرى ، بكل الاهتمام والدقة ، قبل أن يغمغم :

ـ ثلاثة أفراد ومقاتلة .. لقد أوقعنا بأحدهم ، والثانى هو (نور) حتمًا ، فمن الثالث إذن .

انعقد حاجباه مرة أخرى ، وهو يدير الأمر فى رأسه مرات ومرات ، حتى قاطعه صوت طرقات حذرة على باب مكتبه ، فقال فى حدة :

ـ من هناك ؟!

دلف مدير مكتبه إلى الحجرة ، وهو يرتجف ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيِّدى الجنرال .. أعلم أنك قد طلبت عدم إزعاجك ، ولكنك أرسلت فى طلب رئيس الشرطة العسكرية على وجه السرعة ، وهو ينتظر منذ أكثر من نصف الساعة ، و ....

قاطعه (هولدشتاين) فى صرامة :

ـ دعه يدخل على الفور .

تنفَّس الرجل الصعداء ، وهو يتراجع ، قائلا :

ـ بالطبع يا جنرال .. بالطبع .

اختفى الرجل لحظة واحدة ، ظهر بعدها رئيس الشرطة العسكرية ، وهو يرفع يده ، ويفردها عن آخرها ، هاتفًا :

ـ هايل (هتلر) .

أشار (هولدشتاين) بيده ، دون أن يجيب التحية ، وقال فى صرامة :

- ادخل يا (فون دارك) ، وأغلق الباب خلفك .

دخل الكولونيل (فون دارك) فى سرعة ، وأغلق الباب خلفه فى حرص ، ثم شدّ قامته ، ووقف ينتظر أوامر الجنرال ، الذى سأله فى صرامة :

- كيف هرب الرجلان منك يا (فون دارك) ؟!

احتقن وجه الكولونيل ، وهو يقول :

- لست أدرى يا سيّدى الجنرال .. لقد دخلا إلى نفق المترو ، ثم اختفيا تمامًا ، ولست أدرى أين ذهبا ، أو أين ...

قاطعه (هولدشتاين) فى صرامة غاضبة :

- خطأ .

ارتدّ (فون دارك) فى حدة ، و (هولدشتاين) يتابع فى غضب :

- من غير المسموح به ، أن يعلن كولونيل فى الرايخ الثالث فشله .. لقد فرّ منك رجلان داخل نفق المترو ، واختفيا هناك .. كيف تتراجع مع موقف كهذا .. إنهما لم يتلاشيا بالتأكيد ، وهذا يعنى أنهما هناك ، فى مكان ما ، لم يدركه عقلك .. أطلق رجالك عبْر الأنفاق إذن .. فتش كل شبر من المكان .. انسفه

عن آخره لو اقتضى الأمر ، ولكن اعثر عليهما بأى ثمن .

ازداد احتقان وجه الرجل ، وهو يقول :

- إننا نحاول التوفيق بين الأوامر المختلفة يا سيّدى الجنرال ، و ...

قاطعه (هولدشتاين) بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

- كفى .

أطبق الكولونيل شفتيه ، ووجهه يزداد احتقانًا ، حتى بدا وكأن الدماء ستتفجّر من كل فتحات الوجه ، عند أوّل ملامسة ، فى حين تابع (هولدشتاين) بنفس الصرامة ، وهو يعود لعقد كفيه خلف ظهره ، ويشدّ قامته فى قوة :

- عندى معلومات مؤكدة ، بأن رجال المقاومة الفرنسية يتخذون من أنفاق المترو وكرًا لهم(*) .

ارتفع حاجبا الرجل فى دهشة ، وهو يقول :

- أنفاق المترو ؟! ولكن يا جنرال ..

صاح فيه (هولدشتاين) بلهجة مخيفة :

(*) حقيقة تاريخية .

- لا تقاطعنى .

عاد وجه الرجل يحتقن فى شدة ، وهو يغمغم :

- معذرة يا جنرال .

تابع (هولدشتاين) فى حدة :

- هذه المعلومات غير خاضعة للمناقشة ، فهى من مصدر موثوق منه للغاية .. إنهم يختفون داخل أنفاق المترو ، ويستخدمون تلك الشبكة شديدة التعقيد ، لتضليل مطارديهم وإرباكهم .

ثم التقى حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- ولكننا سنفسد كل هذا .

التقط الكولونيل نفسًا عميقًا ، قبل أن يسأل فى حذر :

- هل لى أن أسأل كيف يا جنرال ؟!

تطلّع إليه (هولدشتاين) بضع لحظات على نحو صارم ، قبل أن يوليه ظهره ، ويتطلّع إلى خريطة (باريس) ، قائلاً :

- ابحث فى دار المحفوظات عن أية خرائط لشبكات مترو الأنفاق .

تنحنح الرجل ، مجيبًا :

- لقد فعلنا يا كولونيل ، ولكن هؤلاء الفرنسيين الملاعين أخفوا تلك الخرائط تمامًا ، حتى إننا لم نعثر على نسخة واحدة منها ، و ...

التفت إليه (هولدشتاين) كالبركان الثائر ، وهو يصرخ فى وجهه :

- وكل هذا لم يجعلك تشكّ لحظة ، فى أن رجال المقاومة يختفون ، داخل شبكة الأنفاق ؟!

تراجع الكولونيل بحركة غريزية حادة ، وكأنه يخشى أن تنفجر الحمم فى وجهه ، وقال فى ارتباك مضطرب :

- إنها ليست الوثائق الوحيدة ، التى اختفت من دار المحفوظات ، بعد احتلالنا لـ (باريس) يا سيّدى الجنرال .. الفرنسيون أخفوا أيضًا وثائق المتاحف ، ودور الفن ، وكأنهم يخشون أن نحاول الاستيلاء على تاريخهم الفنى أيضًا(*) .

(*) عندما لاحت الهزيمة للألمان ، فى المراحل الأخيرة للحرب العالمية الثانية ، حاولوا سرقة اللوحات الفنية والتماثيل القديمة ، من متاحف (باريس) ، وتهريبها إلى (ألمانيا) ، ولكن رجال المقاومة الفرنسية أمكنهم إحباط هذه المحاولة ، قبل أيام قليلة من غزو (نورماندى) ، الذى كان بداية تحرير (أوروبا) ، وسقوط (ألمانيا) .

أجابه (هولدشتاين) فى صرامة شديدة :

- فليكن .. اترك لى هذه المهمة إذن يا (فون دارك) ، مادامت الشرطة العسكرية تعجز عن إتمامها .

تمتم الكولونيل فى ضيق :

- ليست مسألةَ عجز يا سيِّدى الجنرال ، ولكن ..

قاطعه فى حدة :

- قلت : اترك هذه المهمة لى .

والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد :

- المهم أن تعدّ أنت رجالك لهجوم شامل .. هجوم يمكنه سحق المقاومة الفرنسية سحقًا ، وإزالتها من الوجود .

وتضاعفت صرامته ، وهو يضيف :

- وإلى الأبد .

نطقها وهو يعتبر أنها البداية ..

بداية خطته الشيطانية للسيطرة على تاريخ العالم .. عَبْر الزمن ..

★ ★ ★

« الأمر يحتاج إلى دقة شديدة ، وتنظيم لا يحتمل الفشل .. »

نطق (نور) العبارة ، وهو يجلس وسط رجال المقاومة ، داخل إحدى قاعات شبكة أنفاق المترو ، واستمع إليه الجميع في شيء من التوتر ، وهو يتابع :

- دعونا نتساءل أوَّلاً ، ما المخاطر التى يمكن أن تواجه (طارق) ، إذا ما انتحل شخصية ضابط ألمانى ، فى محاولة لإخراج (أكرم) من المستشفى .. في البداية ستواجهنا شكوك (كارل) ، ورغبته فى التأكد من شخصية من يقف أمامه ، ثم إصراره على الحصول على تصريح رسمى ، بتسليم (أكرم) للضابط الذى يطالبه بهذا ، وسيصرّ بالطبع على أن يحمل ذلك التصريح توقيع الجنرال (فريدريش هولدشتاين) بنفسه ، ثم إنه سيحاول الاتصال بالجنرال شخصيًا ، لتأمين موقفه ، وسيتمّ هذا الاتصال عبر الهاتف ، أو باستخدام جهاز الاتصال اللاسلكى .

أجابه أحد الرجال فى خشونة :

- أو يرسل أحد جنوده للتأكد .

هتف آخر :

- أو يذهب بنفسه .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لن يمكنه القيام بهذا أو ذاك ، إذا ما كان التصريح ، الذى يحمله الضابط الجديد ، يطالبه بتسليم الأسير ، بأقصى سرعة ممكنة .

سأله (آلان) فى قلق :

ـ وماذا لو ذهب (هولدشتاين) بالمصادفة البحتة إلى المستشفى ، فى هذا الوقت الذات ؟!

أجابه (نور) :

ـ هذا أيضًا احتمال وارد .

ثم أدار عينيه فى وجوه الآخرين ، مستطردًا فى اهتمام :

ـ ألدى أحدهم أية احتمالات أخرى ؟

قال أحدهم فى دهشة :

ـ هل تسألنا نحن ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ بالطبع .. ربما كانت هناك احتمالات لم ترد فى ذهنى ، وأفضل شىء ، فى مثل هذه الظروف ، هو التشاور فى الأمر .

تبادلوا نظرة متوترة ، ثم قال آخر فى صرامة :

ـ ولكن موقفنا لم يتغير أيها الغريب .. إننا لن نتعاون معكم ، فى هذا الشأن .

أشار (طارق) بسبابته ، قائلاً :

ـ هذا يتوقف ، على نوع التعاون المطلوب .

سألته (برجيت) فى حذر :

ـ ماذا تعنى بالضبط ؟!

أجابها (نور) هذه المرة :

ـ زميلى يعنى أننا لن نطالبكم بمواجهة رجال (الجستابو) معنا ، فنحن نقدر وجهة نظركم فى هذا الشأن ، ولكننا نحتاج إلى تعاونكم ، فى مرحلة إعداد الخطة .

تبادل الجميع نظرة أخرى ، قبل أن يسأل (آلان) :

ـ وما الذى تطلبونه منا بالضبط ؟!

أجابه (نور) فى اهتمام :

ـ نحتاج فى البداية إلى زى ضابط (جستابو) ألمانى ، برتبة تفوق (كارل مانهايم) ، وسنحتاج أيضًا إلى زى سائق عسكرى ألمانى ، وسيارة تشبه السيارات التى يستخدمها رجال (الجستابو) فى المعتاد .

هز (آلان) كتفيه ، وقال :

ـ كل هذا يمكن تدبيره .

تدخّل (طارق) ، قائلاً :

ـ ونحتاج إلى مزوّر محترف .

انعقد حاجبا (برجيت) ، وهى تتبادل نظرة عصبية مع (آلان) ، فتابع (طارق) فى حزم :

ـ لا داعى لأن نلتقى به مباشرة ، فيمكنكم الحفاظ على سره ، ولكننا نحتاج منه إلى تصريح بخط (هولدشتاين) وتوقيعه .

تبادل الفرنسيان نظرة متوترة أخرى ، قبل أن تقول (برجيت) :

ـ اكتب التصريح الذى تريده ، وسنحاول إخراجه بأفضل ما يمكن .

قال (نور) :

ـ عظيم .. لا يتبقى لنا إذن سوى الحصول على جهاز لاسلكى بعيد المدى ، وبعض الترانزستورات(*) .

هتف أحدم فى دهشة :

(*) الترانزستور : جهاز إلكترونى مصنوع من مواد شبه موصلة ، متصلة بعضها بالبعض ، يصنع من السليكون والجرمانيوم ، مضافا إليها بعض الشوائب ، ولقد تم اختراعه عام ١٩٤٨م ، ونال مخترعوه جائزة (نوبل) للعلوم عام ١٩٥٦ م .

ـ ماذا ؟!

ابتسم (طارق) ، قائلاً :

ـ صديقى يقصد أننا نحتاج إلى بعض الصمامات الإضافية(*) .

قالت (برجيت) متوترة :

ـ لن يكون الحصول على هذه الأشياء الأخيرة سهلاً ، فالألمان يحظرون تداولها ، حتى لا يصنع المواطنون أجهزة لاسلكى ، تمكنهم من الاتصال بالحلفاء ، وتزويدهم بالمعلومات .

قال (طارق) فى حزم :

ـ ولكن هذا الأمر ليس مستحيلاً بالتأكيد .

تطلعت إلى عينيه مباشرة ، وهى تقول :

ـ ليس من أجلك .

انعقد حاجبا (آلان) فى ضيق ، وأطلت الغيرة واضحة من عينيه ، فى حين ارتبك (طارق) فى حرج ، وهو يشيح بوجهه ، متمتماً :

(*) الصمامات : هى الصورة البدائية للترانزستور ، وفى الصمام يتمّ انبعاث إليكترونيات ، من مادة ما بالتسخين ، ومنها صمامات ثنائية وثلاثية ، كانت تستخدم فى كل الأجهزة الإليكترونية قديمًا .

ـ عظيم .. ترى هل يمكننا الحصول على هذه الأشياء بالسرعة المناسبة ؟!

قال (آلان) فى غلظة :

ـ ليس قبل عدة ساعات .

قال (نور) ، وهو ينقل بصره فى بطء ، بين (آلان) و(برجيت) و(طارق) :

ـ المهم ألا تمتدّ هذه الساعات إلى أيام ، فـ(أكرم) مازال فى قبضة هؤلاء الأوغاد ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى يمكن أن يفعلوه به ، فى أثناء محاولتهم لـ ...

« إنهم يعذبونه .. »

هتف (جولفيه) بالعبارة ، فى توتر لاهث ، وهو يندفع داخل المكان ، فالتفت إليه الجميع فى حركة حادة ، وهتف (طارق) فى غضب مستنكر :

ـ يعذبونه ؟!

أومأ (جولفيه) برأسه إيجابًا ، وقال ، وهو يتخذ لنفسه مجلسًا ، ويواصل اللهاث فى انفعال :

ـ أحد أصدقائنا فى المستشفى أكد لى أن ذلك الجزّار (كارل مانهايم) ، يمارس هوايته الشيطانية مع زميلكم ، غير مبال بجرحه وإصاباته .

غمغم (نور) فى غضب :

ـ ذلك الوغد !

هزّ (جولفيه) رأسه فى قوة ، وتابع :

ـ لقد انتزع اثنين من أظفاره ، وقطع خيوط جرحه ، وتركه ينزف بلا رحمة .. هذا بالإضافة إلى اللكمات والركلات ، و ...

قاطعه (طارق) فى توتر بالغ :

ـ كفى .

ثم التفت إلى رجال المقاومة ، هاتفًا :

ـ فلنبذل جهدًا أكبر أيها السادة .. كل ثانية تمضى ، أصبحت تعنى الكثير لزميلنا المسكين .. أسرعوا بالله عليكم .. تعاونوا معنا لنبلغ هدفنا ، قبل أن يبلغكم ذلك الشيطان (هولدشتاين) .

لوّح (آلان) بيده فى حدة ، قائلاً :

ـ لن يمكنه أن يتوصّل إلينا هنا .. لا أحد غيرنا يمكنه التحرّك بحرية ، دون أن يضل طريقه ، فى شبكة الأنفاق هذه .

قال (نور) فى صرامة :

ـ من يدرى ؟!

التفت إليه (آلان) فى حدة ، قائلاً :

ـ ماذا تعنى ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة أكثر ، وهو يقول :

ـ كما سمعت جيِّدًا يا (آلان) .. من يدرى ؟!

تفجَّرت عبارته فى رءوس الجميع فى عنف ، وتبادلوا نظرات شديدة التوتر ، والسؤال يتردَّد فى عقولهم فى عنف ..

نعم .. من يدرى ؟!

من ؟!

★ ★ ★

توقَّفت سيَّارة (هولدشتاين) أمام مبنى مغلق ، فى أطراف (باريس) ، وتنحنح سائقها ، قبل أن يقول ، فى مزيج من الاحترام والمهابة :

ـ وصلنا يا سيِّدى الجنرال .

أدار (هولدشتاين) عينيه فى بطء ، يتطلَّع إلى المبنى ، ثم قال فى صرامة :

ـ راقبوا المكان ، واحرسوه جيِّدًا .. لا أحد يدخل إلى المبنى ، مهما كانت الأسباب .. هل تفهم ؟!

غمغم السائق فى اضطراب :

ـ أفهم يا سيِّدى الجنرال .. أفهم .

غادر (هولدشتاين) السيَّارة فى هدوء ، وألقى نظرة أخرى على المبنى ، ثم قال لرجال الحراسة المرافقين فى صرامة :

ـ انتظرونى .

ثم اتجه نحو المبنى ، وأخرج من جيبه مفتاحًا صغيرًا ، تطلَّع إليه فى راحته ، متمتمًا :

ـ وأنا الذى ظللت اتساءل ، طوال أكثر من شهر كامل ، عما يعنيه وجود هذا المفتاح العجيب ، بين مفاتيحى الشخصية .

وفى هدوء ، دسَّ المفتاح فى ثقب الباب ، وأداره فى بطء ، ثم دفع الباب ، وعبره فى خطوة واحدة ، واسعة ، سريعة ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ..

ولعشر ثوان تقريبًا ، وقف يتطلَّع إلى الظلام الدامس أمامه ، قبل أن يمدَّ يده إلى إطار الباب الداخلى العلوى ، ويضغط جزءًا منه ، فتحرَّك ذلك الجزء ، ودار حول نفسه ، كاشفًا فجوة صغيرة ، يستقرّ داخلها منظار بسيط المظهر ، التقطه فى هدوء ، ووضعه على عينيه ، مغمغمًا :

ـ أخيرًا سأشعر ببعض الألفة .

لم يكد المنظار يوضع على عينيه ، حتى اصطبغ كل شيء أمامهما بلون أخضر باهت ، وظهرت عشرات من خيوط الليزر المتقاطعة ، فابتسم ، متابعًا :

ـ عظيم .. مازالت أجهزة الأمن تعمل بكفاءة .

وفي حذر ماهر ، راح يعبر بين خيوط الليزر المتقاطعة ، متحاشيًا لمس أحدها ، حتى بلغ بابًا آخر ، فألصق كفه بجزء منه ، وهو يقول بصوت ثابت قوي :

ـ دكتور (خالد رضوان) .

استقبل جهاز تحليل صوتي متطوِّر الاسم ، وطابقه على الصوت المسجَّل داخله ، في نفس اللحظة ، التي تحرَّك فيها ماسح ضوئي إليكتروني ، ليلتقط بصمات كفه ، الملصقة بالباب ، ويراجع توزيع مسامه العرقية ، قبل أن ينبعث صوت آلي ، يقول :

ـ تم التأكد من الهوية .. مسموح بالدخول .

ومع آخر حروف العبارة الآلية ، انفتح الباب في بطء ، كاشفًا قاعة كبيرة ، احتشد فيها عدد من الأجهزة ، التي لم توجد في تاريخ العلم ، قبل مائة

سنة من تلك اللحظة على الأقل ، وعندما خلع (هولدشتاين) منظاره ، راحت أضواء القاعة تشتعل بالتتابع ، وانبعث من مكان ما منها نفس الصوت الآلي ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا دكتور (خالد) .. فيم ترغب أن تبحث اليوم ؟!

أجاب ، وهو يتقدَّم نحو شاشة كمبيوتر كبيرة ، والباب يُغلق خلفه آليًّا :

ـ تاريخ الحرب العالمية الثانية .

بدأ الكمبيوتر عمله على الفور ، قبل حتى أن يصل إليه ، وظهرت على شاشته عبارة تقول :

ـ تاريخ الحرب العالمية الثانية .. (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) .. ما المطلوب فحصه ؟!

قال (هولدشتاين) ، وهو يتخذ مجلسه ، أمام شاشة الكمبيوتر :

ـ الوثائق .

تغيَّرت الشاشة بسرعة ، وظهرت عليها عبارة (الوثائق) ، وأسفلها جدول خاص بكل أنواع الوثائق ، التي يمكن فحصها ، حول تلك الفترة ، فقال (هولدشتاين) في هدوء :

ـ (باريس) .. شبكة أنفاق المترو .



اختفت الشاشة لحظة ، ثم ارتسمت فوقها خريطة كاملة لشبكة أنفاق المترو ..

اختفت الشاشة لحظة ، ثم ارتسمت فوقها خريطة كاملة لشبكة أنفاق المترو ، مع تحديد مسارات العربات ، واتجاهاتها ، وحتى أسعار التذاكر المختلفة .

ولدقيقة أو يزيد ، راح (هولدشتاين) يتطلّع إلى الخريطة ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ـ عظيم .. من الواضح أنها لم تهمل شيئًا .

كانت الخريطة شديدة الدقّة بالفعل ، وتوضح كل تفاصيل شبكة أنفاق المترو ..

ولكن دون أدنى إشارة إلى قوات المقاومة الفرنسية ..

وفى حزم ، قال (هولدشتاين) :

ـ ربط الخريطة بتاريخ المقاومة الفرنسية ، ما بين عامى ألف وتسعمائة وأربعين ، وألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين .

تلقّى الكمبيوتر الأمر ، وراح يجرى حساباته بسرعة خرافية ، قبل أن تحمل شاشته عبارة تقول :

ـ لا توجد أية تفاصيل تاريخية .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى غضب ، وقال :

ـ ابحث فى الكتب ، التى تم نشرها عن دور المقاومة الفرنسية ، خلال الثلاثين عامًا التالية .. كل الكتب ، وكل اللغات .

مضت لحظات قليلة ، قبل أن تحمل شاشة الكمبيوتر عشرات العناوين ، لكتب تتحدَّث عن دور المقاومة الفرنسية ، فى الحرب العالمية الثانية ..

ثم انخفض هذا العدد إلى ثلاثة كتب فحسب ..

ثم إلى أربع صفحات بالتحديد ..

وعبر طابعة ليزرية ، خرجت تلك الصحفات مطبوعة ، فى أناقة شديدة ، باللغة العربية ، مع خريطة صغيرة ، لم يكد (هولدشتاين) يلقى نظرة عليها حتى تألقت عيناه ، وهو يغمغم :

ـ عظيم .. ها هو ذا الموقع المتوقَّع .. تلك القاعة ، أسفل قوس النصر تمامًا ..

ورفع عينيه عن الخريطة ، وهما تتألقان على نحو مخيف ، مع استطرادته :

ـ لقد وضعنا يدنا على الخطوة الأولى ..

وتراقصت ابتسامة شرسة على شفتيه ، وهو يضيف :

ـ فى خطة تغيير التاريخ .

قالها ، وتحولت ابتسامته إلى ضحكة قوية ، جلجلت فى المكان كله ..

ضحكة شيطان .

★ ★ ★

٨ ـ العـــذاب ..

« أظننى قد توصَّلت إليه .. »

لم تكد (نشوى) تنطق العبارة ، حتى قفز الدكتور (ناظم) من مقعده ، واندفع نحوها ، هاتفًا فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

فركت (نشوى) عينيها فى إرهاق ، وهى تشير إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

ـ ها هى ذى كل المواصفات ، الخاصة بكائن بشرى ، يستهلك هذا القدر من الطاقة والأكسجين .. إنه قوى البنية ، ضئيل الحجم إلى حد ما ، إذ لا يزيد طوله على مائة وستين سنتيمترًا ، ووزنه ما بين خمسة وخمسين أو ستين كيلو جرامًا ، وهذا يتوقَّف على مقدار ما كان يبذله من نشاط ، داخل تلك المقاتلة .

هتف الدكتور (ناظم) فى حماس :

ـ عظيم .. عظيم .. إذن فلدينا الآن كل التفاصيل

الجسمانية والنفسية ، الخاصة بذلك الفارس الثانى ، مع ما أشار إليه (رمزى) من كونه يعمل فى أحد المواقع المهمة ، وأعتقد أن هذا سيضيِّق دائرة البحث إلى أقل حد ممكن ، و ...

قاطعته (نشوى) ، وهى تتراجع فى مقعدها فى تهالك :

ـ سبعة وثلاثون ألفًا ، وستمائة وعشرة .

التفت إليها الدكتور (ناظم) ، متسائلاً فى حيرة :

ـ أى رقم هذا ؟!

تثاءبت مجيبة :

ـ عدد الذين تنطبق عليهم المواصفات ، فى كل المواقع المهمة فى (مصر) .

احتقن وجهه ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى !

وقالت (سلوى) ، وهى تقاوم النوم فى صعوبة :

ـ سيحتاج فحصهم إلى ثلاثة أيام من العمل المتواصل على الأقل .

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات مبهوتًا ، قبل أن يتمتم :

ـ هذا لو أمكننا التوصُّل إليه فى النهاية .

أجابه (رمزى) ، وهو يشعر بإرهاق مماثل :

ـ سيتوقَّف هذا على براعته فى تزوير مستنداته وملفَّ الكمبيوتر الخاص به .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه ، وقال :

ـ إنه لن يقلّ براعة عن (طارق) بالتأكيد .

أومأ (رمزى) برأسه متفهِّمًا :

ـ هذا أمر طبيعى .. إنه لن يقلّ عنه براعة ، ولكن ..

سأله الدكتور (ناظم) فى لهفة :

ـ ولكن ماذا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ ولكن ظروفه ستختلف تمامًا الآن .

تطلّعت إليه (سلوى) بنظرة مرهقة ، قبل أن تسبل جفنيها ، وتعيد رأسها إلى الخلف ، وكأنما ذهبت فى سبات عميق ، فى حين سأله الدكتور (ناظم) فى اهتمام :

ـ وكيف هذا ؟!

أجابه (رمزى) :

ـ ما دام شريكًا لـ (طارق) ، فى زمنه ورحلاته ، فهو سيعلم حتمًا أن مقاتلة الزمن قد رحلت دونه ،

وأنه أصبح أسيرًا هنا إلى الأبد ، وسيدفعه هذا إلى بعض التصرفات العصبية ، في الساعات التالية ، وهذا يعني بعض الأخطاء غير المقبولة في العمل ، أو محاولة تفادى الخطأ ، بالحصول على إجازة عارضة .. ابحث إذن عمن تنطبق عليهم هذه الأمور أو مثيلاتها ، وسينخفض العدد أكثر وأكثر بالتأكيد .

هبَّ الدكتور (ناظم) من مقعده ، هاتفًا :

ـ فكرة عبقرية .

ثم استدرك في شيء من التوتر :

ـ ولكنها تحتاج إلى بعض الوقت .

هزَّ (رمزى) كتفيه ، قائلاً :

ـ وما قيمة الوقت ، في أمر كهذا ؟!

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات مفكرًا ، ثم قال في حزم :

ـ على العكس يا (رمزى) .. الوقت له قيمة عظمى ، في كل الأحوال ؛ فكل صراعنا هذا من أجله .. من أجل السيطرة على الزمن .

واكتسى صوته بصرامة واضحة ، وهو يستطرد :

ـ وعلى التاريخ .

* * *

عضَّ (أكرم) شفتيه بكل قوته ، حتى سالت منهما الدماء ، وهو يقاوم تلك الصرخة ، التي تجمَّعت في حلقه ، حتى لا تنطلق من بين شفتيه ، ورجال (كارل) ينتزعون ظفر إبهامه الأيسر بلا رحمة ..

كان الألم رهيبًا ، إلى حد لا يمكن أن يتصوَّره أحد ، ولكن (أكرم) قاومه ..

وقاومه ..

وقاومه ..

لم يكن يرغب أبدًا في إسعاد (كارل) ، الجزَّار ، الذي يفعل كل ما يفعله ، حتى يحظى بصرخة ألم ، أو صيحة توسُّل ، تشبع تلك الوحشية الدموية في أعماقه ..

والواقع أن مقاومته قد نجحت في هذا إلى حد كبير ..

لقد امتلأت نفس (كارل) بالغيظ والحنق ، وهو يدور في الحجرة ، قائلاً في حدة ، حاول أن يكسوها بالصرامة :

ـ هل يكفيك هذا ، أم أنك ترغب في المزيد ؟!

كان وجه (أكرم) محتقنًا بشدة ، من فرط الألم

والإجهاد ، إلا أنه رسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، أنهكت قواه ، وهو يجيب :

ـ ماذا حدث ؟! هل اكتفيتم بتقليم ثلاثة من أظفارى فحسب ؟!

التقى حاجبا (كارل) فى غضب ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت تثبت أنك صلب قوىّ .. هل تتصورً أن هذا سيفيدك هنا ؟! خطأ أيها المتحذلق .. إن ما عانيته حتى الآن ليس سوى البداية ، فرجالى يبدءون بنزع الأظفار ، كوسيلة لفتح الشهية فحسب ..

قال (أكرم) فى سخرية ، وهو يبذل قصارى جهده ، للإبقاء على وعيه :

ـ هكذا ؟! ما وجبتهم الرئيسية إذن ؟!

التفت إليه (كارل) فى حركة حادة ، هاتفًا :

ـ أنت أيها الحقير .. أنت وجبتهم الرئيسية .

ثم هتف بأحد رجاله الثلاثة :

ـ أشعل سيجارة ، وأعطنى إياها .

أسرع الرجل يطيع أوامره ، وناوله السيجارة المشتعلة ، فالتقط نفسًا عميقًا منها ، ونفث الدخان فى وجه (أكرم) ، قائلاً :

ـ هل تعلم .. لقد أقلعت عن التدخين ، منذ عام كامل .. جناب الفوهرر لا يحبّ من يدخنون ، وخاصة من رجال (الجستابو) .. إنه يرى أنه من الضرورى أن يكونوا أقوى من الخضوع لعادة قبيحة كهذه .

وبرقت عيناه فى شراسة ، مستطردًا :

ـ ولعلك تتساءل الآن : لماذا عدت للتدخين ؟

غمغم (أكرم) :

ـ ربما لتسعد الجميع بموتك فيما بعد .

ضاقت عينا (كارل) ، وهو يقول :

ـ بل لهدف أكثر بساطة أيها الوقح ، فأنا أشعل السيجارة لـ ...

وانقضّ عليه فجأة ، وغرس السيجارة فى كتفه ، هاتفًا :

ـ لأطفئها هنا .

كانت حركة مباغتة ، حتى إن (أكرم) لم يمكنه كتمان صرخة ألم ، انطلقت من بين شفتيه ، فتراجع (كارل) فى سرعة ، قائلاً :

ـ هذا ما كنت أنتظر سماعه .

صاح به (أكرم) فى غضب :

- أيها الوغد الحقير .

اندفع أحد الجنود الثلاثة نحوه ، وضربه بكعب مدفعه فى وجهه ، صارخًا :

- اخرس .

كانت الضربة من القوة ، حتى إنها قلبت (أكرم) ، بالمقعد المقيَّد إليه أرضًا ، وجعلته يرتطم بمنضدة الأدوات الطبية ، التى سقطت وتبعثرت كلها أرضًا ، فى نفس الوقت الذى تفجَّرت فيه الدماء من موضع الإصابة .

ومع ضجة السقوط ، اندفع أحد أطباء المستشفى داخل الحجرة ، هاتفًا :

- كفى .. كفى .. هذا مستشفى ، وليس معتقلاً للتعذيب .

استدار إليه (كارل) فى شراسة ، هاتفًا :

- وما شأنك أنت ؟!

هتف الطبيب فى حدة :

- إننى طبيب المستشفى .

عقد (كارل) كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى غضب :

- هل تعتقد أن هذا يمنحك الحق فى التدخُّل فى عملنا ؟!

هتف الطبيب :

- هذا ليس عملاً .. إنها عملية تعذيب وحشية .

انعقد حاجبا (كارل) فى غضب ، وهو يقول :

- آه .. أنت من دعاة الحرية إذن .

ثم أشار إلى رجاله إشارة صارمة ، فانقضَّ ثلاثتهم على الطبيب بغتة ، وانهالوا عليه بالضربات واللكمات والركلات ، والمسكين يهتف :

- أيها الأوغاد .. أيها المجرمون .

انتهز (أكرم) فرصة انشغال الجميع بموقف الطبيب ، وراحت يداه تبحثان من خلف ظهره عن أية أداة ، من الأدوات التى تبعثرت أرضًا ، يمكن أن تساعده فى تمزيق تلك القيود ، التى تربطه إلى المقعد ..

والتقطت يده قطعة من قارورة زجاجية مكسورة ، وأخفاها بين أصابعه ، والجنود يعودون إليه فى شراسة ، بعد أن تكوَّم الطبيب الفرنسى المسكين أمام باب الحجرة ، فاقد الوعى ، وهتف (كارل) فى شراسة ، متعمِّدًا أن يبلغ صوته الجميع :

- فى المرة القادمة ، إذا ما اقتحم أحدهم الحجرة ، أطلقوا عليه النار على الفور ..

ثم ركل الباب بقدمه ، وأغلقه فى وجه بعض رجال المستشفى ، الذين أسرعوا لإسعاف زميلهم ، قبل أن يلتفت إلى (أكرم) ، الذى أعاد الرجال مقعده إلى موضعه ، قائلاً فى حدة :

- هذا الأمر ينطبق عليك أيضًا يا هذا ، فإذا ما سئمنا منك ، سيكون أفضل ما نفعله هو أن ننسف رأسك نسفًا .

قال (أكرم) فى سخرية ، وأصابعه تعمل من خلف ظهره فى همة ، لتمزيق القيود ، التى تربطه إلى المقعد ، بقطعة الزجاج المكسورة :

- دون أوامر جنرالكم الشيطان ؟!

انعقد حاجبا (كارل) فى شدة وغضب ، فتابع (أكرم) فى سرعة :

- إنه يرغب حتمًا فى الحصول على ما لدى من معلومات ، وهذا يعنى أنه لن يغفر لك قتلى ، مهما كانت المبرِّرات .

صمت (كارل) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إليه فى غضب هادر ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً :

- يبدو أنك ما زلت تجهل أساليبنا أيها الأسير .. إننا سنحافظ على حياتك بالطبع ، ما دمنا نتصوَّر أن لها بعض الأهمية ، بالنسبة لنا ، وهذا لن يمنعنا من انتزاع أظفارك ، ووضع قدميك فى الماء المغلى ، أو حتى بتر أطرافك ، لو اقتضى الأمر ، وفى هذه الحالة ، إما أن نحصل على ما لديك ، وهذا ما يحدث دائمًا ، أو تثبت لنا أنك طراز مختلف من البشر ، يمكن أن يحتمل عذاب الدنيا كله ، أو يضحى بحياته نفسها ، حتى لا يشى برفاقه ، أو يكشف سره ، إذ إننا فى النهاية ، وبعد أن نيئس من الحصول على أية معلومات منك ، سنضطر حتمًا إلى قتلك ، دون شفقة أو رحمة .

وانعقد حاجباه أكثر ، وهو يضيف :

- وبالنسبة لك بالذات ، أعدك أن أشعل فيك النار حيًّا ، لأستمتع بصراخك وتوسلاتك .

بدا الوجوم على وجه (أكرم) ، وكأنما هزَّته كلمات (كارل) ، وخفض عينيه بضع لحظات ، وكل ملامحه تشفّ عن التفكير العميق ، ثم لم يلبث أن رفع عينيه إليه ، وهمس :

- إننى أحمل إليك مفاجأة .

لم يحسن (كارل) سماع الهمسة ، فمال نحوه أكثر ، قائلاً :

- تحمل ماذا ؟

انطلقت قبضة (أكرم) من خلف ظهره بسرعة البرق ، لتهوى على فك (كارل) كالقنبلة ، وهو يهتف :

- مفاجأة أيها الوغد .

كانت الضربة من القوة ، حتى إنها ألقت (كارل) ، لثلاثة أمتار إلى الخلف ، فارتطم باثنين من رجاله ، وسقط ثلاثتهم أرضًا فى عنف ..

وقبل أن يتجاوز الجندى الثالث ذهوله ، كان (أكرم) ينقضّ عليه ، ويركله فى معدته ركلة عنيفة ، ثم يهوى على مؤخرة عنقه بلكمة ساحقة ، هاتفًا :

- ابتعد أيها الوغد .

قفز (كارل) واقفًا على قدميه فى سرعة ، وهو يهتف :

- لست أدرى كيف تخلّصت من قيودك ، ولكن ...

ركله (أكرم) فى صدره ركلة قوية ، أسقطته مرة أخرى فوق الرجلين ، وهتف :

- لا يوجد لكن أيها الحقير ..

كان يرغب فى اختطاف أحد المدافع الآلية ، ولكن الجنديين صوّباها إليه فى سرعة مدهشة ، فى حين هبّ (كارل) مرة أخرى ، صائحًا :

- اقتلاه ، لو اقتضى الأمر .

كان (كارل مانهايم) ، كضابط فى (الجستابو) ، يجيد كل وسائل القتال ، المعروفة فى ذلك العصر ، إجادة تامة ..

ولكن ، حتى الوسائل القتالية تتطوّر ، مع مرور الزمن ..

لذا فقد انقضّ (كارل) على (أكرم) انقضاضة عنيفة قوية ، إلا أن هذا الأخير انحنى فى خفة ، على الرغم من إصاباته وآلامه ، ولكم (كارل) فى معدته بأقصى قوته ، ثم التقط كتفيه ، وأدارهما فى الهواء فى سرعة وقوة ، فوجد (كارل) نفسه يطير ، ليرتطم برجليه فى عنف ..

وفى هذه المرة ، اندفع (أكرم) نحو باب الحجرة ، والدماء تغرق قميصه من الخلف ، وتسيل من مواضع أظفاره المنزوعة ، و ...



وفجأة ، انفتح الباب ، قبل أن يبلغه (أكرم) بلحظة واحدة ..

وفجأة ، انفتح البـاب ، قبـل أن يبلغـه (أكـرم) بلحظة واحدة ..

وتجمَّد (أكرم) وهو يحدِّق فى وجه ذلك القادم .. (هولدشتاين) ..

الجنرال (فريدريش هولدشتاين) نفسه ..

وفى سرعة مذهلة ، وقبل أن يستوعب (أكرم) المفاجأة ، انطلقت قبضة الجنرال فى وجهه ..

انطلقت كالقنبلة ..

بل كألف قنبلة ..

لقد شعر بها (أكرم) تنفجر فى وجهه ، وتنتزعه من الأرض ، لتلقى به عبر الحجرة بقوة مذهلـة ، حتى ارتطم بالجدار فى عنف ..

وفى هذه المرة أيضًا ، لم يستطع (أكرم) كتمـان صرخته ..

لقد تمزَّقت خيوط جرحه عن آخرها ، وتفجَّرت منه الدماء فى عنـف ، قبل حتى أن يسقط أرضًا ، فـاقد الوعى ..

وفى صرامة مخيفة ، دلف الجنرال إلى الحجرة ، وتطلَّع إلى (كارل) ورجاله الثلاثة ..

ولأول مرة فى حياته ، شعر (كارل) بقلبه يسقط بين قدميه ، وهو يقول بصوت مختنق مبحوح :

- سيدى الجنرال .. إننى ..

قاطعه (هولدشتاين) فى لهجة ، تجمدت لها الدماء فى عروقه :

- اصمت .

ثم أدار عينيه إلى (أكرم) ، مستطردًا :

- يبدو أننى مضطر لإدارة الأمور كلها بنفسى .

حاول (كارل) أن يقول شيئًا ؛ لتبرير موقفه ، ولكن (هولدشتاين) تابع بنفس اللهجة الصارمة المخيفة :

- أتعشَّم ألا تكون قد نسيت الجبهة السوفيتية يا (كارل) ؟!

مرة أخرى ، هوى قلب (كارل) بين قدميه ، وهو يهتف :

- سيدى الجنرال .. أرجوك .

قاطعه (هولدشتاين) مرة أخرى فى غضب :

- اصمت .. غير مسموح لك بالتحدث الآن .

احتقن وجه (كارل) فى شدة ، ولكن الجنرال تابع فى سرعة :

- ولكن اطمئن .. لن أعيدك إلى الجبهة السوفيتية .. ليس فى هذه الأيام على الأقل .

ثم عاد يتطلع إلى (أكرم) الفاقد الوعى بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

- أراهن على أنكم لم تنتزعوا منه شيئًا ، بخلاف أظفاره بالطبع .

تمتم (كارل) فى حذر :

- الرجل صلب للغاية يا سيدى الجنرال ، و ...

قاطعه (هولدشتاين) ، وكأنما لا يعنيه سماع أية تبريرات :

- استدع (فون دارك) لمقابلتى على الفور .

تراجع (كارل) فى دهشة ، ثم تمالك نفسه فى سرعة ، وسأل :

- فى مكتبك يا جنرال ؟!

صمت (هولدشتاين) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

- بل هنا يا (كارل) .. هنا .

قالها ، وعيناه تبرقان على نحو عجيب ، يوحى بأن رأسه يحمل خطة جديدة ..

خطة عبقرية ..

معقّدة ..
مخيفة ..
خطة لا يمكن أن تنبع إلا من عقل كعقله ..
عقل شيطان ..

* * *

تطلّعت (برجيت) فى حيرة وانبهار ، إلى (طارق) ، الذى انهمك فى توصيل جهاز اللاسلكى القديم ، الذى أحضره (جولفيه) ، بعدد من الأسلاك والصمامات ، الثنائية والثلاثية ، وغمغمت :

- ما الذى يفعله بالضبط ؟!

أجابها (نور) ، وهو يرتدى زى السائق الألمانى :

- الجهاز الذى يصنعه ، سيمنع (كارل) من الاتصال بـ (هولدشتاين) ، سواء عن طريق الهاتف ، أو أجهزة اللاسلكى .

حدّقت فى الجهاز بضع لحظات فى دهشة ، قبل أن تقول :

- وكيف هذا ؟!

أجابها فى هدوء :

- عندما نضعه على سطح المبنى المقابل

للمستشفى ، ستصدر عنه ذبذبات فوق صوتية ، غير مسموعة ، تفسد كل الاتصالات فى المنطقة كلها ، لبعض الوقت .

هتفت مبهورة :

- وكيف يمكن هذا ؟!

ابتسم ، قائلاً :

- إنها بعض تقنيات المستقبل يا (برجيت) .

أومأت برأسها متفهّمة ، ثم تطلّعت إلى (طارق) فى إعجاب وانبهار شديدين ، وهى تقول فى حماس :

- أراهن على أنه أفضل من يفعل هذا فى عصركم .

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يغمغم :

- بالتأكيد .

وصل (آلان) فى تلك اللحظة ، قائلاً :

- السيارة بالخارج .. إننا نخفيها فى شارع جانبى مجاور .

التفت إليه (نور) ، يسأله :

- وماذا عن التصريح ؟!

أخرج من جيبه ورقة مطوية ، قائلاً :

- ها هو ذا .

التقطه (نور) ، وتطلّع إليه فى اهتمام شديد ، قبل أن يبتسم ، قائلاً :

- إنه يبدو حقيقيًا للغاية .

ثم سأل فى اهتمام :

- من أين حصلتم على توقيع (هولدشتاين) ؟!

أجابه فى صرامة :

- من أى أمر إعدام قديم .

ثم تحرّك عامدًا ، ليقف بين (طارق) و(برجيت) ، وهو يتابع فى عصبية :

- متى ستبدءون خطتكم ؟!

أجابه (نور) :

- عندما نتأكد من وجود (هولدشتاين) فى مكتبه .

انعقد حاجبا (آلان) ، وهو يقول :

- ما خطتكم بالضبط ؟!

أجابه فى اهتمام ، وهو يلتفت إليه :

- إنها خطة بسيطة ودقيقة ، فى الوقت ذاته .. ففى اللحظة المناسبة ، وعندما يستقرّ (هولدشتاين) فى مكتبه ، سنضع جهاز الشوشرة على سطح المبنى المقابل للمستشفى ، ثم يذهب شخص ما لمقابلة (هولدشتاين) ، مدعيًا بأن لديه معلومات مهمة ،

بشأن جسم مجهول ، رآه يطير فى الريف الباريسى .. وسيجذب هذا الادعاء اهتمام (هولدشتاين) بشدة ، وأنا واثق من أنه سيلاقى الرجل بنفسه ، وكل ما على هذا الرجل هو أن يبذل قصارى جهده ، ليقضى ربع الساعة فحسب ، فى مكتب (هولدشتاين) ، ففى هذه الأثناء ، سنصل (طارق) وأنا إلى المستشفى ، داخل سيارة (الجستابو) ، وسيصعد (طارق) إلى حجرة (أكرم) ، فى زى ضابط ألمانى ، ويسلّم (كارل) التصريح الخاص بتسليم (أكرم) على وجه السرعة ، لحدوث متغيرات بالغة الأهمية ، مع أمر مشدّد ببقاء (كارل) فى المستشفى مع رجاله ، حتى تبلغه أوامر جديدة .. وبالطبع ، سيشكّ (كارل) فى الأمر ، وسيرغب فى التأكد منه ، وهنا سيقترح عليه (طارق) الاتصال بالجنرال مباشرة ، وبأقصى سرعة ممكنة ، حيث إن الأمر لا يحتمل التأخير .. وسيعجز (كارل) عن إتمام الاتصال ، بسبب وجود جهاز الشوشرة ، على سطح المبنى المقابل ، ولكن لا يكون أمامه ، والحال هكذا ، سوى تسليم (أكرم) للضابط القادم ، طبقًا لما يقوله التصريح ، الذى يحمل توقيعًا ، يشبه إلى حد الإتقان توقيع (هولدشتاين) نفسه .

صمت (آلان) لحظة ، ثم قال فى غلظة :
ـ هل تعتقد أن الأمور ستسير بهذه البساطة ؟!
قال (نور) فى حزم :
ـ لو أننا حصلنا على اثنين من المتطوعين فحسب ، فسيسير كل شىء على ما يرام .
قال (آلان) فى صرامة :
ـ اثنان من المتطوعين ؟! ألم نتفق على أننا لن ...
قاطعه (طارق) ، قائلاً :
ـ لسنا نطلب من يقاتل يا رجل .. فقط نريد شخصًا لتشغيل جهاز الشوشرة فى الوقت المناسب ، بعد نقله إلى سطح المبنى المقابل ، وآخر لمقابلة (هولدشتاين) ، وإضاعة وقته ، خلال ربع الساعة المطلوبة ..
انعقد حاجبا (آلان) فى شدة ، وهو يقول :
ـ كلاً .. لن تحصلا على ...
قاطعته (برجيت) هذه المرة فى حدة :
ـ ماذا دهاك يا (آلان) ؟! لماذا تتصرَّف بهذا التعنت ؟! أهى الغيرة أم ماذا ؟!
تراجع كالمصعوق ، وهو يهتف :
ـ الغيرة ؟!

تابعت فى غضب :
ـ لقد بلغنى أنك أنت الشخص ، الذى أقنع الرجال بعدم التعاون مع (نور) و (طارق) ، وهأنتذا تتعامل بأسلوب قاس فظ ، مع رجلين يبذلان قصارى جهدهما ، ليس لإنقاذ رفيقهما فحسب ، ولكن لحماية مستقبلنا أيضًا ، من عدو شيطانى ، لا أحد يدرى ما الذى يمكن أن يفعله بتاريخنا .
هتف فى حدة :
ـ هل صدَّقت قصتهما هذه ؟!
أجابته غاضبة :
ـ نعم يا (آلان) .. كلانا صدَّق هذه القصة فيما مضى .. أليس كذلك ؟!
صمت لحظة ، ثم أشاح بوجهه ، قائلاً فى صرامة :
ـ فليكن يا (برجيت) .. قولى ما يحلو لك ، ولكننى لن أجازف بحياتى من أجلهما ، أو من أجل رفيقهما .
قالت فى حدة :
ـ فليكن .. هذا حقك .
ثم شدَّت قامتها ، مستطردة فى صرامة :
ـ أما أنا فسأفعل .

التفت إليها الجميع فى دهشة ، وهتف (آلان) مستنكرًا :

- تفعلين ماذا يا (برجيت) ؟!

أجابته فى حزم :

- سأذهب لمقابلة (هولدشتاين) ، وأحاول احتجازه فى مكتبه ، طوال الفترة المطلوبة .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، ومال (آلان) برأسه إلى الأمام ، فى حين التفت إليها (طارق) فى حدة ، هاتفًا :

- لا .. إلا أنت .

ارتجفت شفتاها ، وتراقصت فوقهما ابتسامة مبتهجة ، قفزت إلى عينيها وصوتها ، وهى تكرّر فى لهفة :

- إلا أنا ؟! ولماذا أنا بالذات ؟!

لم يمنحه (آلان) الفرصة لإجابتها ، وهو يهتف بها :

- هل جننت يا (برجيت) ؟! لن نسمح لك أبدًا بالقيام بتلك المخاطرة .

هتفت فى صرامة غاضبة :

- هذا شأنى يا (آلان) .. أنتم لا تصدّقون قصتهما ، ولكننى أصدّقها ، وأومن بها ، وأدرك جيّدًا أن هدفنا وهدفهما مشتركان ؛ لذا فسأجازف بحياتى نفسها ، لو اقتضى الأمر ، فى سبيل معاونتهما ، حتى ولو اضطررت لنقل جهاز الشوشرة ، وتشغيله ، ثم الذهاب لمقابلة (هولدشتاين) ، فى نفس الوقت .

اندفع أحد الرجال ، يقول فى حماس :

- سأتولّى أنا عملية نقل الجهاز وتشغيله يا زعيمتى .

قالت فى حماس مماثل :

- عظيم .. وأنا سأذهب إلى ...

قاطعها (طارق) فى صرامة :

- لن أسمح لك بهذا .

استدارت إليه بكيانها كله ، وهى تقول :

- اسمع يا (طارق) .. لا تتعامل معى أبدًا باعتبارى امرأة فحسب .. إننى زعيمة المقاومة الفرنسية أيضًا ، وهذا يحمّلنى مسئوليات جمّة ، فعلىّ أن أكون دومًا مثلاً أعلى لرجالى ، ثم إننى واجهت فى الماضى عشرات المواقف المماثلة ، و ...

قاطعها (آلان) هذه المرة :

ـ كلا .. يا (برجيت) .

استدارت إليه فى حدة ، فتابع فى سرعة وحزم :

ـ أنا سأذهب إلى (هولدشتاين) .

بدت عليهم الدهشة ، وهو يضيف فى صرامة :

ـ وهذا الأمر غير قابل للمناقشة .. أبدًا .

وفى هذه المرة ، لم يضف أحدهم حرفًا .. واحدًا ..

* * *

« هايل (هتلر) .. »

أطلق (فون دارك) ، قائد الشرطة العسكرية تحيته فى قوة ، داخل حجرة مدير المستشفى ، التى يحتلها (هولدشتاين) ، فاستدار إليه هذا الأخير فى صرامة ، قائلاً :

ـ لقد وصلت فى الوقت المناسب يا (فون دارك) .

خفض الرجل ذراعه فى ضيق ، لأن (هولدشتاين) لم يجب تحيته ، وقال :

ـ لقد وصلت بأسرع ما أمكننى يا جنرال .

وقف (هولدشتاين) يتأمله بعض الوقت ، قبل أن يسأله :

ـ هل استعدّ رجالك يا (فون دارك) ؟!

أجابه الرجل :

ـ إنهم على أهبة الاستعداد يا سيِّدى الجنرال ، ولكننا مازلنا نجهل كيف يمكننا العثور على رجال المقاومة داخل الأنفاق ؟!

صمت (هولدشتاين) لحظة أخرى ، ثم أخرج خريطة شبكة الأنفاق من جيبه ، وناوله إياها ، قائلا :

ـ ها هو ذا السبيل .

فردَ (فون دارك) الخريطة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إليها فى دهشة ، فى حين تابع (هولدشتاين) فى صرامة :

ـ ستجد أمامك خريطة كاملة لشبكة أنفاق المترو ، التى تمتدّ تحت (باريس) كلها ، وفوقها ستجد علامة تشير إلى موقع وكر رجال المقاومة الفرنسية .. وكما ستلاحظ ، فهو عبارة عن قاعة سفلية ، تقع تحت قوس النصر تقريبًا ، وكل الـ ...

قاطعه الرجل فى دهشة بالغة :

ـ من أين أتيت بهذه الخريطة يا جنرال ؟!

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وهو يقول فى غضب :

ـ هل تقاطعنى من أجل سؤال كهذا يا رجل ؟! أنت تعلم أن لنا وسائلنا الخاصة ، للحصول على المعلومات .

ارتجف (فون دارك) ، وهو يقول :

ـ لست أقصد المعلومات يا سيّدى الجنرال .. كنت أقصد الخريطة نفسها ، فأنا لم أشاهد قط ورقًا نقيًا كهذا ، ولا طباعة متقنة إلى هذا الحد .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وهو يحدّق فى الخريطة ، التى يمسك بها (فون دارك) ، وكاد يطلق سبابًا ساخطًا ، عندما انتبه ، لأوّل مرة ، إلى أنه قد منحه نسخة الخريطة ، التى أخرجها الكمبيوتر ، عبر طابعة الليزر ، ولكنه تماسك فى صرامة ، وهو يقول :

ـ إنها إحدى الاختراعات الألمانية العظيمة يا رجل ، والتى نحتفظ بها سرًا ، حتى لا يتوصّل إليها العدو .

ثم التقط الخريطة من يده ، مستطردًا :

ـ لذا فستقوم بنقلها الآن ، ولن تحتفظ بالأصل .

تمتم الرجل فى توتر :

ـ بالطبع يا جنرال .. بالطبع .

قال (هولدشتاين) ، وهو يتطلّع إليه فى صرامة ، ويعقد كفيه خلف ظهره :

ـ المهم أنك ستستعد مع رجالك لمهاجمة وكر المقاومة ، من ثلاثة اتجاهات ، بحيث تحاصرونهم داخل الأنفاق ، و ...

والتقى حاجباه ، متابعًا فى حزم :

ـ وتبيدونهم عن آخرهم .

ارتفع حاجبا (فون دارك) ، وهو يقول فى دهشة :

ـ عن آخرهم يا جنرال ؟! ألن نستبقى واحدًا أو اثنين لـ ...

قاطعه (هولدشتاين) فى صرامة :

ـ عن آخرهم يا (فون دارك) .

ثم استدار يصبّ لنفسه كأسًا من الخمر ، رفعها عاليًا ، وهو يضيف :

ـ إننا بهذا نكتب أولى صفحات التاريخ الجديد يا (فون دارك) .. تاريخى الجديد .

قالها وجرع الكأس كلها ..

دفعة واحدة .

★ ★ ★

٩ - المفاجــــأة ..

أشارت عقارب الساعة إلى العاشرة والربع صباحًا ، عندما دلف الدكتور (ناظم) إلى مقر الفريق ، وقال فى توتر ملحوظ ، يشفّ عن الإحباط وخيبة الأمل :

- صباح الخير يا سادة .. كيف حالكم اليوم ؟!

أجابه (رمزى) :

- فى خير حال يا دكتور (ناظم) .. إننا نواصل فحص سجلات المقاتلة .

اتخذ الرجل مجلسًا ، بالقرب من الباب ، وهو يسأل (نشوى) :

- كيف حال (محمود) الصغير ؟!

أجابته فى خفوت ، وهى تتطلّع إليه فى قلق :

- لقد ذهبت لرؤيته هذا الصباح ، عند شقيقة (رمزى) .. إنه بخير ، ويسعده اللهو مع صغارها ، ولكن من المؤكد أنه يفتقدنى ويفتقد والده بشدة .

غمغم :

- هذا أمر طبيعى .

سألته (سلوى) ، التى لم تستطع كتمان تساؤلاتها طويلاً :

- ماذا حدث بالضبط يا دكتور (ناظم) ؟

تنهّد الرجل فى حرارة ، مجيبًا :

- لا شىء .

ثم اكتسب صوته حدة مباغتة ، وهو يتابع :

- لا شىء على الإطلاق ، وهذا ما يحنقنى .. لقد فحصنا كل ملفات المشتبه فيهم ، الذين تنطبق عليهم كل استنتاجاتكم ، ولكن جميعهم بدوا أبرياء تمامًا ، ولم نعثر على رجل الزمن الثانى بينهم قط .

بدت الدهشة على وجه (رمزى) وهو يقول :

- ماذا ؟! لا يمكننى أن أخطئ تقدير الموقف إلى هذا الحد .

قال الدكتور (ناظم) :

- نحن واثقون من هذا يا (رمزى) ، ولكننا لم نعثر على ذلك الشخص قط .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، وقالت (نشوى) :

- ولكننى راجعت حساباتى أكثر من خمس مرات ، ولا يوجد احتمال واحد للخطأ فيها .

وقال (رمزى) فى حدة :
- أنا أيضًا واثق من استنتاجاتى تمامًا .
وهزَت (سلوى) رأسها ، قائلة :
- ربما لو أعدنا دراسة الموقف ، فقد ...
قاطعها الدكتور (ناظم) :
- لا يا (سلوى) .. أنا واثق من أن استنتاجاتكم كلها سليمة ، و ...
صمت لحظة ، قبل أن يتابع فى عصبية :
- ولدينا دليل على هذا .
قالت (نشوى) فى لهفة :
- دليل ؟! حقًا ؟!
أومأ برأسه إيجابًا ، فقال (رمزى) فى قلق :
- أى دليل هذا ؟!
تردَّد الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :
- أمس ، حدث اختراق للكمبيوتر الرئيسى ، فى إدارة البحث العلمى .
هتفت (سلوى) :
- يا إلهى !

وقالت (نشوى) فى دهشة :
- ولكن شفرة الكمبيوتر الرئيسى شديدة التعقيد ، وهى مجهَّزة بحيث يمكنها رصد أية محاولة لاختراقه ، وتحديد المعتدى وموقعه على الفور .
هزَّ رأسه ، قائلاً :
- لقد تجاوز المعتدى كل هذا ، كما لو أنه يحفظ شفرة الدخول عن ظهر قلب ، وأوقف فاعلية جهاز الأمن ، بحيث لم يمكنه رصد موقعه ، أو تحديد هويته ، وهو يتوغَّل ويتوغَّل فى الكمبيوتر الرئيسى ، حتى إنه قضى داخله أكثر من سبع دقائق كاملة ، قبل أن نكشف وجوده ، ونبدأ فى تشغيل نظام الأمن البديل ، ولم نكد نفعل ، حتى انسحب على الفور ، قبل أن نتمكَّن من كشفه .
سأله (رمزى) فى اهتمام :
- وأى موقع اخترق يا دكتور (ناظم) ؟
ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، قبل أن يجيب :
- موقع الأسرار الخاصة .
هتفت (نشوى) :
- يا إلهى ! هذا مستحيل !

وسألته (سلوى) :

- هل انتخب أمرًا بذاته ؟!

أجابها الدكتور (ناظم) على الفور :

- نعم يا (سلوى) ، وهذا ما جعلنا نعتبر هذا الاختراق دليلا ، على وجود فارس الزمن الثانى .

ثم مال إلى الأمام ، متابعًا فى حزم :

- لقد اخترق الموقع الخاص بعملية (طارق) ، وخطة بدء تصنيع آلة الزمن المصرية .

اتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، وهو يهتف :

- يا إلهى !

وأسرعت (سلوى) تقول :

- هذا يعنى أنه يعلم أن سجلات المقاتلة كلها لدينا .

قالت (نشوى) :

- بل الأكثر خطورة أنه يعلم أننا بصدد دراسة إنتاج مقاتلة زمنية .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه مرة أخرى ، وقال :

- لقد اتخذنا الاحتياطات اللازمة ، لمنع حدوث هذا الاختراق مرة أخرى ، فقد أبدلنا شفرة الدخول ، وأضفنا دائرة أمنية ثالثة ، وجهاز تتبُّع أكثر سرعة .

قال (رمزى) فى صرامة :

- ولكنه علم بالأمر بالفعل يا دكتور (ناظم) .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وقال :

- للأسف .

اعتدل (رمزى) فى مقعده ، وقال :

- على العكس يا دكتور (ناظم) .. هذا قد يفيدنا إلى حد كبير .

سأله الدكتور (ناظم) فى حيرة :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه فى حماس :

- أعنى أن الرجل يعلم الآن أننا بصدد صنع آلة زمن أخرى ، وهذا سيستفزه كثيرًا ، وربما يدفعه إلى القيام ببعض التصرفات ، التى قد تكشف أمره .

سألته (سلوى) :

- أية تصرفات ؟!

أجابها فى سرعة :

- محاولة منعنا من صنع آلة الزمن هذه .

تبادل الجميع نظرة دهشة ، ثم هتفت (نشوى) :

- إذن فأنت تعتقد أنه لن يسمح لنا بهذا .

أشار بسبابته ، قائلاً :
ـ بالتأكيد .. فلو صحَّ استنتاجى ، فإن (طارق) وزميله لم يصلا إلى عصرنا هذا بمحض الصدفة .
بهتت (سلوى) لجوابه ، وانعقد حاجبا (نشوى) فى شدة ، فى حين هتف الدكتور (ناظم) فى انفعال :
ـ كنت واثقًا من هذا منذ البداية .
هتفت (نشوى) :
ـ ولكن لماذا ؟! لماذا جاءا إلى عصرنا عمدًا ؟!
أشار (رمزى) بسبابته مرة أخرى ، وهو يقول :
ـ أعتقد أن هذا جزء من الحرب .
سأله الدكتور (ناظم) مبهوتًا :
ـ أية حرب ؟!
أجاب (رمزى) فى صرامة :
ـ حرب السيطرة يا دكتور (ناظم) .. السيطرة على مجرى الزمن .

★ ★ ★

« لقد غادر المستشفى .. »
لهث (جولفيه) فى انفعال ، وهو يهتف بالعبارة ، مع اندفاعه داخل قاعة نفق المترو ، التى تضمّ رجال المقاومة ، فسأله (نور) فى لهفة :

ـ أأنت واثق ؟!
أجابه (جولفيه) فى حماس :
ـ لقد رأيته بنفسى ، وهو يغادر المستشفى ، بصحبة (فون دارك) ، قائد الشرطة العسكرية .. ولقد أدى له (فون دارك) التحية العسكرية ، قبل أن يستقل كل منهما سيارته ، ويغادرا المكان .
قال (طارق) :
ـ عظيم .. كل شىء يسير وفقًا للخطة .
ألقى (نور) نظرة على ساعته ، وقال :
ـ سنبدأ تحركاتنا الآن ، فلنضبط ساعاتنا على السابعة وست عشرة دقيقة بالضبط .. سنبدأ التنفيذ فى تمام السابعة والنصف ، عندما يكون (هولدشتاين) قد بلغ مكتبه ، واستقرّ فيه .. (شيفاليه) سينقل جهاز الشوشرة الآن ، إلى سطح المبنى المقابل للمستشفى ، و (آلان) سيذهب على الفور إلى مكتب (هولدشتاين) ، أما (طارق) وأنا ، فسنتحرك فى السابعة واثنتى عشرة دقيقة ، وسندور بالسيارة حول المنطقة ، ثم نتوقّف أمام المستشفى ، فى السابعة والنصف تمامًا ، وفى نفس اللحظة ، سيبدأ (شيفاليه) فى تشغيل جهاز الشوشرة ، ويطلب (آلان) مقابلة (هولدشتاين) .

أومأ الجميع برءوسهم متفهمين ، فتابع فى حزم :

- التوقيت أيها السادة .. أهم شىء هو التحرك فى التوقيت الصحيح .

غمغم (آلان) فى صرامة :

- لا تقلق .

قالها ، وغادر المكان على الفور ، ليصل إلى مكتب (هولدشتاين) فى الوقت المناسب ، فى حين حمل (شيفاليه) جهاز الشوشرة ، وقال :

- إلى اللقاء فى السابعة والنصف تمامًا أيها السادة .

عدل (طارق) زيه ، والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- أتعشم أن نحسن القيام بدورنا مثلهم .

ابتسمت (برجيت) فى حنان ، وتحسست شعره بأصابعها ، مغمغمة :

- ستنجح .. أنا واثقة من أنك ستفعل .

سرت فى جسده ارتجافة قوية ، خفق معها قلبه فى عنف ، فالتفت يتطلع إلى عينيها الزرقاوين ، ويغوص فيهما ، و ...

« الأفضل أن نذهب الآن .. »

قطع (نور) مشاعره ، بهذه العبارة الصارمة ، فاعتدل فى حزم ، وقال :

- بالتأكيد .. هيا بنا .

وأشاح بوجهه عنها ، فى محاولة لإخفاء مشاعره ، وهو يسير إلى جوار (نور) ، عبر أنفاق المترو ، فهتفت به (برجيت) :

- (طارق) ..

تجمد فى مكانه لحظة ، ثم التفت إليها فى بطء ، فألقت إليه قبلة فى الهواء ، قائلة :

- سأنتظرك .

خفق قلبه مرة أخرى ، ولم يستطع النطق بحرف واحد ، فلوح بأنامله ، ثم عاد ينطلق مع (نور) وسط الأنفاق .

ولثوان ، لم يتبادل أحدهما كلمة واحدة مع الآخر ، ثم قال (نور) فى هدوء :

- تحبها .. أليس كذلك ؟!

لم يجب (طارق) ، فتابع (نور) :

- أخشى أن هذا قد يسبب لنا بعض المشكلات هنا ، خاصة وأن (آلان) أيضًا غارق فى حبها .

تمتم (طارق) :
ـ ليس هذا بيدى .
ران عليهما الصمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن يغمغم (نور) :
ـ أعلم هذا .
تنهّد (طارق) ، قائلاً :
ـ هل تعلم أنها أوّل مرة ، يحدث لى فيها هذا ؟!
صمت (نور) بعض الوقت ، حتى لم يعد يُسمع سوى وقع أقدامهما ، عبر الممر الأخير ، وهو يقول :
ـ هذا يترك أثرًا قويًا بالتأكيد ، ولكن يبدو أنه قد حدث فى وقت غير مناسب .
ابتسم (طارق) فى مرارة ، وهو يقول :
ـ تقصد فى زمن غير مناسب .
أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، دون أن يقول شيئًا ، فهزّ (طارق) رأسه فى قوة ، قائلاً :
ـ سأقاوم هذا الشعور .. أعدك بهذا .
صمت (نور) طويلاً هذه المرة ، قبل أن يقول :
ـ أتعشّم هذا .
بلغا أحد مخارج النفق هذه المرة ، فشدّ (طارق)

قامته ، وعقد كفيه خلف ظهره ، شأن أى ضابط من ضباط (الجستابو) ، واتجه مع (نور) إلى السيارة ، التى تنتظرهما فى أحد الشوارع الجانبية ، إلى جوار المخرج ، واتخذ (نور) مقعد السائق ، فى حين جلس (طارق) فى المقعد الخلفى ، وغمغم ، عندما انطلق (نور) بالسيارة :
ـ السابعة وست وعشرون دقيقة .
قال (نور) :
ـ سندور حول المبنى ، ثم نتوقّف أمام المستشفى ، فى السابعة والنصف بالضبط بإذن الله .
لم يتبادلا كلمة إضافية ، طوال دقيقة كاملة ، قبل أن يقول (طارق) :
ـ ترى كيف حال (أكرم) الآن .
أجابه (نور) فى مرارة :
ـ لا ريب فى أن المسكين قد عانى الكثير ، مع جزّار مثل (كارل مانهايم) .
هزّ (طارق) رأسه ، قائلاً :
ـ المهم أن يظلّ على قيد الحياة .
غمغم (نور) :

ـ أعتقد أنهم سيحافظون على حياته ، ولكن جسده سيكون مثخناً بالجراح ، ويمتلئ بالكدمات والسحجات .

قال (طارق) فى حزم :

ـ هذا لا يهم .

عقد (نور) حاجبيه ، قائلاً فى حدة :

ـ من وجهة نظر من لم يتعرَّض للتعذيب فحسب .

مال (طارق) نحوه ، وفرد كفه أمامه ، قائلاً :

ـ هل ترى هذه ؟!

تطلَّع (نور) إلى الرصاصة ، المستقرة فى راحة (طارق) ، وقال :

ـ إنها رصاصة .

تراجع (طارق) ، قائلاً :

ـ ليست أية رصاصة .. إنها الرصاصة التى أصابتنى فى فخذى .. هل تراها ؟! لقد لفظها جسمى بنفسه ، وجعل الجرح يلتئم بسرعة ، بسبب ذلك المصل ، الذى يسرى فى دمى .

سأله (نور) ، وهو يدور حول المبنى :

ـ إلى ماذا تشير ؟!

أجابه على الفور :



لم يتبادلا كلمة إضافية ، طوال دقيقة كاملة ، قبل أن يقول (طارق) :
ـ تُرى كيف حال (أكرم) الآن ؟! ..

- إلى أننى أستطيع نقل بعض دمائى إلى (أكرم) ، وسيعمل المصل على مداواة جروحه ، بسرعة لن يمكنك تصورها .

تنهد (نور) :

- بل يمكننى تصورها ، فقد اختبرت هذا بنفسى(*) .

قالها ، وهو يتجه نحو المستشفى ، ويتوقف أمامها ، ثم يضيف فى حزم :

- السابعة والنصف بالضبط .

التقط (طارق) نفسًا عميقًا ، وقال :

- فلنبدأ على بركة الله .

فى نفس اللحظة ، التى غادر فيها السيارة ، كانت (برجيت) تلقى نظرة على ساعتها بدورها ، قائلة فى انفعال :

- سيبدأ كل شىء الآن .

كان الانفعال يعصف بنفسها ، وهى تتحرك فى القاعة ، فى توتر شديد ، وعقلها كله يفكر فى شخص واحد ..

(طارق) ..

(*) راجع قصة (فارس الزمن) .. المغامرة رقم (١١٧) .

لم تدر ما الذى جذبها إليه بالتحديد ، إلا أنها تدرك جيدًا أنها قد وقعت فى حبه ، دون سابق إنذار ..

لقد أمرت (جولفيه) بقتله ، وكانت تعنى هذا بالفعل ، وتصرفت معه ومع (نور) بعدوانية شديدة ..

ثم فجأة ، وجدت نفسها غارقة فى حبه حتى النخاع .

شىء ما فى طبيعته ، وأسلوبه ، وحديثه ، جعل قلبها يخفق من أجله ، وجعلها تتمنى لو تلقى نفسها بين ذراعيه ، و ...

« خيانة .. »

اخترقت الصيحة أذنيها ، وانتزعتها من لمحاتها الرومانسية فى عنف ، فانتفض جسدها فى قوة ، واستدارت إلى (جولفيه) ، الذى اقتحم المكان ، هاتفًا :

- الألمان هنا .

قفز الجميع من أماكنهم ، فى توتر بالغ ، وهتفت (برجيت) :

- هنا ؟! ماذا تعنى بأنهم هنا ؟!

- صاح فى انفعال شديد :

ـ لقد اقتحموا شبكة الأنفاق ، من ثلاثة مواضع مختلفة .. إنهم يعلمون أننا هنا ، ويطبقون علينا من كل الاتجاهات .

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهتفت :

ـ ولكن هذا مستحيل !

صاح (جولفيه) :

ـ لم يعد مستحيلاً أيتها الزعيمة .. إنهم لا يبحثون عنا ، ولكنهم يتحرّكون على نحو ، يوحى بأنهم يعرفون جيدًا أين نحن ... إنهم يتجهون إلى هنا مباشرة .

ظلّت عيناها على اتساعهما ، وهى تختطف مدفعها الآلى ، هاتفة :

ـ ولكن كيف ؟! كيف عرفوا موقعنا ؟!

ـ عضّ شفتيه فى غضب ، قائلاً :

ـ الغريبان .. لقد خاننا الغريبان .

هوى قلبها بين قدميها ، فى نفس اللحظة ، التى دوت فيها الرصاصات ، عبر شبكة أنفاق المترو ..

لقد أطبق الألمان على رجال المقاومة الفرنسية من كل صوب ..

وهذا يعنى أنه لم يعد هناك أدنى أمل فى النجاة ..

بل ويعنى ما هو أكثر خطورة ..

يعنى أن الأمور لم تعد تسير كما كانت ..

وأن التاريخ قد بدأ مرحلة التغيير .

إلى الأسوأ ..

★ ★ ★

شعر (نور) بتوتر شديد ، وهو يجلس داخل سيارة (الجستابو) ، فى انتظار عودة (طارق) ..

كان يعلم أن المهمة بالغة الخطورة ، ويحنقه كثيرًا أن يجلس ساكنًا فى السيارة ، إلا أنه كان يدرك أيضًا أن (كارل مانهايم) يحفظ وجهه جيدًا ، من مواجهتهما السابقة ، وأن رؤيته له الآن قد تفسد كل شىء ..

بلا استثناء ..

وفى قلق ، راح يدير عينيه فيما حوله ..

كان كل شىء يبدو هادئًا ، أكثر مما توقّع ، ولكن الجنود الألمان كانوا يتحركون على نحو لم يشعره بالارتياح ؛ فقد كانوا يتجهون فى هدوء إلى الأركان ، ويحتلّون مواقع مرتبة بدقة ، كما لو أنهم يحاصرون المستشفى ..

صحيح أنهم لم يتحرّكوا بالعصبية المعهودة عنهم ، ولكن شيئًا ما فى تحركاتهم لم يرق له ..

لم يرق له قط ..

وفى نفس اللحظات ، التى كان يراقب فيها هذه

التحركات المريبة ، كان أحد العاملين بالمستشفى يقود (طارق) إلى حجرة (أكرم) ، ثم يطرق بابها فى حذر ، قائلاً :

- هر (كارل) .. هناك ضابط من زملائك ، يرغب فى ..

دفع (طارق) الباب ، قبل أن يكمل الرجل جملته ، ودلف إلى الحجرة ، قائلاً فى صرامة ، شأن ضباط (الجستابو) الكبار :

- الكولونيل (رالف إيلر) .

تطلَّع إليه (كارل) فى هدوء عجيب ، قبل أن يسأله :

- بِمَ يمكننى أن أخدمك يا كولونيل ؟!

ألقى (طارق) نظرة سريعة على الحجرة ، وكاد ينفجر غضبًا ، عندما وقع بصره على (أكرم) الفاقد الوعى ، والذى بدا فى حالة مزرية للغاية ، من شدة ما تعرَّض له من تعذيب ، إلا أنه تماسك فى قوة ، وهو يجيب :

- أتيت لأخذ هذا الأسير .

انعقد حاجبا (كارل) ، وهو يقول :

- تأخذ الأسير .. أخشى أن هذا يحتاج إلى ...

أخرج (طارق) التصريح المزوَّر من جيبه ، ووضعه أمام وجه (كارل) ، وهو يقاطعه ، قائلاً فى صرامة :

- لدى تصريح من الجنرال (هولدشتاين) بهذا .

التقط (كارل) التصريح ، وقرأه فى عناية ، ثم هزَّ رأسه ، وقال :

- إنه خط الجنرال وتوقيعه بالتأكيد ، ولكننى أتساءل : لماذا يرغب فى إخراج الأسير من هنا بهذه السرعة ؟! ما الذى يدعو إلى هذا ؟!

- أجابه (طارق) فى صرامة :

- ليس هذا من شأنك .

رفع (كارل) نظره إليه بحركة حادة ، فاستدرك فى سرعة :

- أو من شأنى .. إنها أوامر الجنرال ، ولا بد من تنفيذها على الفور .

راجع (كارل) التصريح مرة أخرى ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

- لست أدرى فى الواقع ..

قاطعه (طارق) فى صرامة :

- أوامر الجنرال صريحة فى هذا الشأن .. لا بد وأن يتمَ هذا بأقصى سرعة .. ثم مال نحوه ، مستطردًا بنفس الصرامة :

- لِمَ لا تتصل به بنفسك ، لتتأكَّد من صحة الأمـر ، قبل أن يمضى الوقت ، ويغضب الجنرال كثيرًا .

تراقصت ضحكة غريبة فى عينى (كـارل) ، وهو يقول :

- أتصل به ؟! ولماذا أفعل ؟!

ثم أشار إلى باب جانبى ، مستطردًا :

- يمكننى أن أسأله شخصيًّا .

ومـع آخـر حـروف كلماتـه ، خـرج مـن ذلـك البـاب الجانبى آخر شخص فـى العـالم ، يتصوَّر (طـارق) رؤيته ، فى تلك اللحظة ..

(هولدشتاين) ..

الجنرال (فريد ريش هولدشتاين) ..

الشيطان ..

شخصيًّا .

★ ★ ★

[انتهى الجزء الثانى بحمد اللّٰه]

[ويليه الجزء الثالث بإذن اللّٰه]

(زمن الـدم)

رقم الإيداع : ٣٢١٥

ألف عصر

- تُرى أين ذهبت مقاتلة الزمن بـ (نور) و(أكرم) و (طارق) ؟!
- من ذلك العدو الخفى ، الذى فوجئ به (نور) ، عبر العصور ؟!
- تُرى من ينتصر فى معركة الزمن ، ومن يربح القتال فى (ألف عصر) ؟!
- اقرا التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل المستقبل .



العدد القادم : زمن الدم



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

118

ـــــــمـ

الثمن فى مصر ٢٠٠ وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم